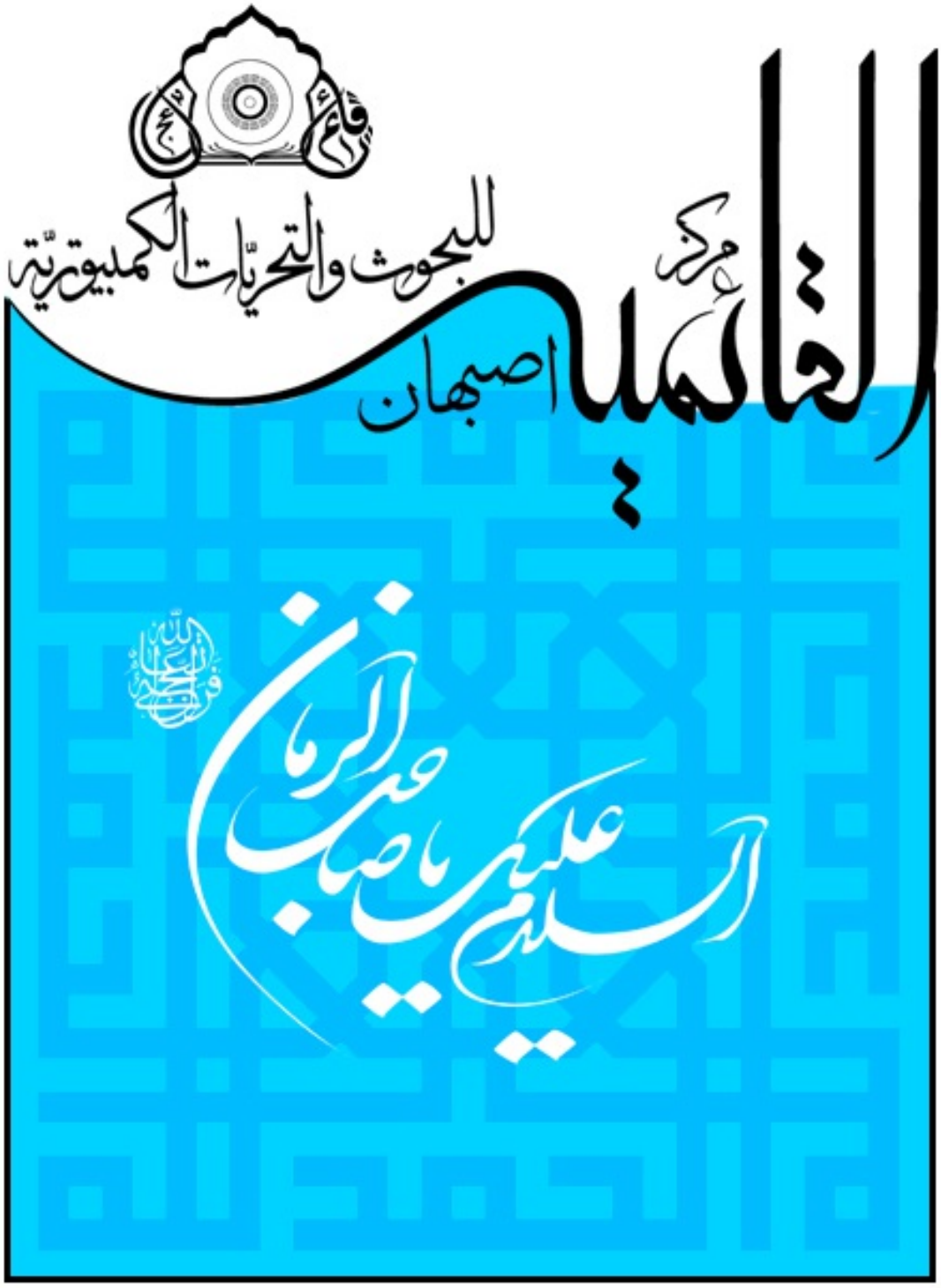

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

صحبة الرسول ﷺ
بين
المنقول و المعقول

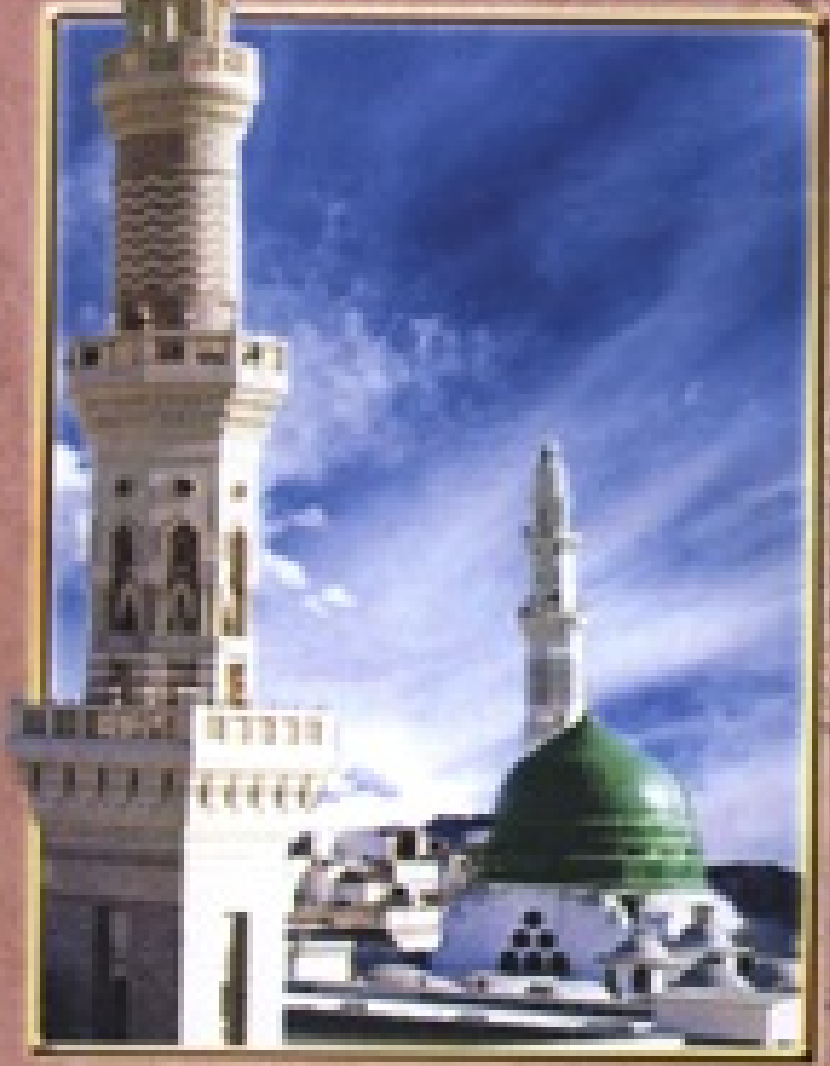

محمد علي النجفي

بسم الله الرحمن الرحيم

صحبه الرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بین المنقول و المعقول

کاتب:

محمدعلی نجفی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
صحبه الرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بین المنقول و المعقول ----- ۷
اشارة ----- ۷
اشارة ----- ۷
المقدمة ----- ۱۱
حقیقة الصحبة وتعریف الصحابی: ----- ۱۲
الصحبة فی اللغة: ----- ۱۲
الصحبة فی الاصطلاح: ----- ۱۲
الصحبة فی الاستعمال: ----- ۱۶
والخلاصة: ----- ۶۶
الموقف الأوّل: ما یتعلّق بمعرکة بدر: ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
المقطع الأوّل منها: خروج المسلمین للحرب ----- ۶۹
المقطع الثانی: أجواء المعرکة وما بعدها ----- ۷۱
المقطع الثالث: الأنفال .. حکمٌ وحکم ----- ۷۲
المقطع الرابع: قضیة الأسری ----- ۷۴
المقطع الخامس: صورة من المعرکة ----- ۷۵
الموقف الثانی: ما یتعلّق بمعرکة أحد: ----- ۷۶
اشارة ----- ۷۶
المقطع الأوّل: مقدّمات المعرکة: ----- ۷۷
المقطع الثانی: خدیعة الاعلان عن موت النبی صلی الله علیه و آله ----- ۷۹
المقطع الثالث: غلبة المسلمین لولا ... شواهد بلسان الفارّین ----- ۸۰
المقطع الرابع: القرآن یتحدّث عن الفارّین ----- ۸۶

المقطع الخامس: ردّة الفعل المعاكسة ----- ۸۸
الموقف الثالث: ما يتعلق بمعركة الخندق: ----- ۹۰
اشارة ----- ۹۰
المقطع الأوّل: صور من نعم اللّه عزّوجلّ ----- ۹۰
المقطع الثانی: وكان عهد اللّه مسؤولًا ----- ۹۳
المقطع الثالث: من الذی لم يؤمن واقعاً؟! ----- ۹۴
المقطع الرابع: من آمن وصدّق وآزر؟ ----- ۹۵
المقطع الخامس: بطل المعركة الخالد ... ----- ۹۶
الموقف الرابع: ما يتعلّق بصلح الحديبيّة: ----- ۹۸
اشارة ----- ۹۸
المقطع الأول: الفتح المبين إرادة اللّه ونظر الصحابة ----- ۹۹
المقطع الثانی: السكينة عامة أم خاصّة ...؟ ----- ۱۰۳
المقطع الثالث: بيعة الرضوان الأمل والمآل ----- ۱۰۴
المقطع الرابع: من هم السابقون ----- ۱۰۷
الموقف الخامس: ما يتعلّق بغزوة تبوک: شواهد من مشاهد ----- ۱۱۸
الموقف السادس: وهو ما يتعلّق بغزوة حنين: ----- ۱۳۴
خاتمة: ----- ۱۳۶
أقول: ----- ۱۴۸
تعريف مركز ----- ۱۴۹

صحبه الرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بین المنقول و المعقول

اشارة

سرشناسه : نجفی، محمدعلی

عنوان و نام پدیدآور : صحبه الرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بین المنقول و المعقول/ بقلم محمدعلی النجفی.

مشخصات نشر : تهران: دارالمشعر، ۱۳۸۳.

مشخصات ظاهری : ۱۴۴ص.

شابک : ۶۰۰۰ریال:۹۶۴-۷۶۳۵-۵۱-۶

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه بصورت زیرنویس

عنوان دیگر : صحبه رسول الله(ص). شرح

موضوع : درویش، صالح، .Darwish, Salih ibn Abdallahصحبه رسول الله(ص) -- نقد و تفسیر

موضوع : صحابه.

موضوع : صحابه -- فضایل.

موضوع : صحابه در قرآن.

موضوع : غزوات.

شناسه افزوده : درویش، صالح

شناسه افزوده : Darwish, Salih ibn Abdallah

رده بندی کنگره : BP۲۲۳/۷/د۴ص۳۰۲۱۷ ۱۳۸۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۷۸

شماره کتابشناسی ملی : م۸۳-۲۰۵۳

ص:۱

اشارة

ص:۲

ص:۳

ص:۴

ص: ۵

المقدمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه‌رب العالمين؛ والصلاة على أشرف المرسلين‌محمّد وآله الطيبين الطاهرين؛ وعلى أصحابهم الأوفياء وأولياءهم الأبرار.

أمّا بعد: فقد وقفتُ على رسالةٍ صغيرةٍ من تأليف الشيخ صالح بن عبد اللّه الدرويش، القاضى فى المحكمة الكبرى بالقطيف، وكان موضوعها «صحبة رسول اللّه صلى الله عليه و آله» ولم يكن العزم على كتابة ردّ عليها، وتوضيح لما ورد فيها من مغالطات مقصودة أو غير مقصودة، وما فيها من تجاوزات نقليّة وعقليّة، ولكن لسوء الوضع الراهن الذى نعيشه من حيث الهجوم المتصاعد على الإسلام، وبشتّى وسائل الإعلام المتيسّرة للمهاجمين، سعياً فى إطفاء نور اللّه المتمثّل فى نور الرسول الكريم وأهل بيته عليهم السلام وجدتُ من اللازم علىَّ أن أكتبَ ما يوجب كشف مغالطاته فى حقّ الصحابة، وردّ مزاعمه فى حبِّهم والدفاع عنهم، فكانت هذه الرسالة على العجالة، كتبتُها راجياً أن تسدّ رَأْبَ ما صدعه هذا

ص: ۶

الكاتب وأمثاله. جعلها اللَّه فى صحيفة أعمالى يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم.

حقيقة الصحبة وتعريف الصحابى:

اختلف فى المراد بالصحبة للنبىّ صلى الله عليه و آله على أقوال كثيرة، ولنذكر المهمّ دون إشباعٍ له؛ فهو موضوع طويل جدّاً، ولكن توصّلًا إلى المراد ممّا يفى بالنتيجة المطلوبة من البحث؛ نقول:

الصحبة فى اللغة:

قال فى القاموس (۱) ۱:.. صَحِبَه كسَمِعَه صَحَابَة وصُحْبَةً: عاشره، وهم: أصحاب وأصاحيب وصحبة وصَحْب، واستصحبه دعاه للصحبة ولازمه.

وفى المعجم الوسيط (۲) ۲: صحبه أى رافقه، والصاحب المرافق، واستصحبه جعله صاحباً له، ولزمه، ودعاه إلى الصحبة.

الصحبة فى الاصطلاح:

لم يزد بعضٌ ممَّن عرَّف الصحبة على المعنى اللغوى، فقال بأنَّ الصحبة فى الاصطلاح هى نفسها ما كانت عليه عند اللغويين.

۱- القاموس المحيط للفيروز آبادى: ۱/ ۹۱

۲- المعجم الوسيط، لمجموعة من الاختصاصيين: ۱/ ۵۰۷

ص: ۷

وبعض قال باختلافهما، وهؤلاء بين مضيقٍ لدائرة الصحبة، وبين موسِّع لها.

والشاهد على ذلك ما ذكره ابن الأثير فى جامع الأصول (۱) ۳ قال: ثمَّ الصحبة من حيث الوضع تنطبق على من صحب النبى صلى الله عليه و آله ولو ساعةً، ولكنَّ العرف يخصِّص الاسم بمن كثرت صحبته، ولاحدَّ لتلك الكثرة بتقدير، بل بتقريب (۲) ۴.

وإليك بعض آرائهم فى ذلك:

۱- تعريف السمعانى؛ كما حكاه ابن الصلاح فى مقدمته (۳) ۵: من طالت مجالسته مع النبى صلى الله عليه و آله على طريق التبع والأخذ، بخلاف من وفد إليه وانصرف بلا مصاحبة، قالوا: وذلك معنى الصحابى لغةً (۴) ۶.

وهو ضعيف؛ لكون طول المكث مؤثراً فى المنزلة والاختصاص به أكثر من غيره ليس إلّا، علاوةً على مخالفته لمعناهااللغوىّ.

۲- ما عن سعيد بن المسيب: من أنَّه لم يكن يعدّ صحابياً

۱- جامع الأصول لابن الأثير الجزرى: ۱/ ۷۴

۲- ذكر هذا المعنى عن جامع الأصول: الشيخ المامقانى؛ مقباس الهداية: ۳/ ۲۹۷

۳- ابن الصلاح فى المقدمة: ص ۴۲۳

۴- حكاه عنه فى مقباس الهداية: ۳/ ۲۹۶

ص: ۸

إلا من أقام مع رسول اللّه سنةً أو سنتين، وغزا معه غزوةً أو غزوتين (۱) ۷.

وسيأتى أنَّ هذا معنى استعماليّ للصحبة وليس تعريفاً حدّيًّا له.

۳- الصحابى من طالت صحبته وروى عنه، حكى عن جماعة.

فيخرج به من قلَّت صحبته، وقلَّ مكثه مع النبى صلى الله عليه و آله.

۴- أنَّه من رآه بالغاً، وقد حكاه الواقدى.

فيخرج من كان قد رآه مميزاً قبل بلوغه، ومات النبى ولمَّا يبلغ.

۵- أنَّه من أدرك زمنه وهو مسلم، حكى عن ابن عبد البر وابن منده.

فيشمل هذا كلّ من أدرك زمنه وهو مسلمٌ وإنْ لم يره، وإنْ مات بعد ذلك على غير الإسلام.

۶- أنَّه من اختصَّ بالرسول واختصَّ به الرسول صلى الله عليه و آله وهذا أضيق التعاريف؛ لخروج الكثير من الصحابة بذلك عن كونهم صحابةً.

۱- حكاه عنه فى مقباس الهداية ۳/ ۲۹۷؛ وذكره فى الباعث الحثيث: ۲۰۳، شرح الألفيَّة للسخاوى: ۳/ ۹۴

ص: ۹

۷- أنَّه كلّ مسلم رأى النبىّ صلى الله عليه و آله.

وهذا هو المنقول عن البخارى (۱) ۸، فتشمل كلّ من رآه مسلماً ولو لم يصحبه، أو مات على غير الإسلام.

وهذا ممَّا لايمكن الالتزام به قطعاً.

والواقع أنَّه لم يسلم أىٌّ من هذه التعاريف عن الإشكال، بعدم المانعيَّة فى بعض منها، أو عدم الجامعيَّة فى آخر، كلزوم خروج بعض من ثبتت لهم الصحبة عن كونهم من الصحابة كجرير بن عبد اللّه البجلى.

ويلزم منها- أيضاً- خروج مثل ابن أمّ مكتوم، الذى كان كفيفاً، مع أنَّه مسلَّم الصحبة، أو من أسلم ثمَّ ارتدّ ومات على الردَّة، كعبداللّه بن جحش وعبداللّه ابن خطل.

كما يلزم على مثل تعريف سعيد بن المسيب و أصحاب الأصول خروج جويبر ابن عبد اللّه؛ فإنَّه ممَّن لم يطل مكثه مع النبى صلى الله عليه و آله ولم يغزُ معه غزوةً قطّ، مع أنَّه معدود فى الصحابة.

وعلى كلّ حال، فقد مات النبىّ صلى الله عليه و آله عن مائة وأربعة وعشرين ألفاً ممّن يعدُّ صحابياً، وعلى ما سلف من تعريفاتهم يلزم خروج الكثير ممَّن عدَّ صحابياً.

فلابدَّ إذن من اشتراط اللقاء كما فعل الشهيد، والسيّد على

۱- حكاه عنه جماعةٌ بل ادعى أنَّه المشهور والمعروف بين المحدثين، ومفاده الرؤية ولو للحظة، حتى لو لم يَرْوِ عنه صلى الله عليه و آله شيئاً

ص: ۱۰

خان صاحب الدرجات الرفیعة، فقد عرَّف الصحابیّ بأنَّه: من لقی النبیّ صلی الله علیه و آله مؤمناً به، ومات علی الإسلام، ولو تخلّلت ردّته بینهما (۱) ۹.

الصحبة فی الاستعمال:

لعلّ الکثیر من التعاریف التی مرَّت علینا هو فی واقعه توضیح لما استعمل من المفهوم عند الصحابة أنفسهم، إما بتضییق وإما بتوسعة له، لا أنَّه تحدید منطقی لمفهومها.

ومن نماذج استعمال الصحبة فی معنی أضیق دائرةً: ما ذهب إلیه أنس بن مالک من أنَّ رؤیة النبیّ صلی الله علیه و آله غیر کافیةٍ فی اعتبار الرجل صحابیّاً، فقد سئل: هل بقی من الصحابة غیرک؟ فقال: بقی أناسٌ من الأعراب، أمَّا الصحبة فلا (۲) ۱۰.

کمامرَّ نقل‌اشتراط سعید بن المسیب لکی یکون الرجل صحابیاً أنْ یقیم مع رسول‌اللَّه سنةً أو سنتین أو أن یغزو معه غزوةً أو غزوتین (۳) ۱۱.

ولکنَّ السمعانیّ ألغی اعتبار زمنٍ محدّدٍ لمعنی الصحبة أکثر

۱- الدرجات الرفیعة للسید علی خان المدنی: ص ۹

۲- مقدمة ابن الصلاح: ص ۱۱۸- ۱۱۹

۳- المصدر السابق

ص: ۱۱

ممَّن سبق فقال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كلِّ من صحب النبيّ شهراً أو يوماً أو ساعةً أو رآه.

ولكنَّ أحمد بن حنبل ضيَّق ذلك المعنى فقال: أصحاب رسول‌اللّه كلّ من صحبه وروى عن النبيّ ولو حديثاً أو كلمة (۱) ۱۲.

فإنَّ بين هذا التعريف، وما ذكره السمعانى، عموماً مطلقاً، والوجه اشتراط أحمد بن حنبل الروايةَ، وهى فرع الرؤية طبعاً.

ولكنَّ الغزالى قال: لاينطبق اسم الصحبة إلّاعلى من صحبه... إلى أن قال: ولكنَّ العرف يخصّصه بمن طالت صحبته.

وقال ابن حجر العسقلانىّ- بعد أن ناقش التعريفات السابقة-: أصحّ ما وقفتُ عليه فى تعريف الصحابىّ أنَّه من لقى النبيّ مؤمناً به، ومات على الإسلام (۲) ۱۳.

و أمَّا ما اختاره هذا الكاتب الذى نحن بصدد المناقشة لما كتبه؛ فالصحابى عنده: من آمن بالنبى صلّى اللّه عليه (وآله) وسلّم، وصحبه ولو لفترةٍ من الزمن ومات على ذلك، وأمَّا طول الصحبة فهو يؤثّر فى المنزلة ليس إلّا (۳) ۱۴.

وهذا قريبٌ جدّاً من تعريف ابن حجر العسقلانىّ فى اعتبار

۱- جامع الأصول لابن الأثير: ۱/ ۱۳

۲- مقدمة كتاب نقعة الصديان فيمن فى صحبتهم نظر؛ للصاغانى، عن كتاب الإصابة: ۱/ ۱۰

۳- صحبة رسول اللّه (ص): ص ۵

ص: ۱۲

الإيمان بالنبى صلى الله عليه و آله والموت على ذلك.

وأمّا ما تُعْرَفُ به صحبة الصحابىّ ومايثبت له تلك الصفة، فهى: الإجماع، أو التواتر، أو الشهرة.

ولا بأس بالتعليق على ما عرَّف به هذا الكاتب للصحابىّ، فنقول:

قد اشتمل تعريفه للصحابىّ على أمور:

الإيمان بالنبىّ، والصحبة له، والموت على ذلك، وطول الصحبة مؤثّر فى المنزلة.

فأمّا الإيمان به صلى الله عليه و آله:

فهو شرطٌ مهمّ وأساسٌ فى الصحابىّ، ولكن لابدَّ من إدامة هذا الإيمان، ولعلّ الكاتب التفتَ إلى هذا فقال بعد ذلك: ومات على ذلك.

وأمّاالصحبة له:

فهى جزء الموضوع، لتحقّق معنى الصحابىّ لغةً فى من يرافقه صلى الله عليه و آله بل تمام الموضوع فى من يصحّ له ادعاء ذلك.

وأمّا الموت على ذلك:

فإنْ كان يقصد الموت على الإيمان بالنبى صلى الله عليه و آله فهو المطلوب لنا أيضاً، وهو تامّ، وإنْ كان مقصوده الموت على الصحبة فهو ممّا لادليل عليه فى الصحابى، بل الكثير منهم قد هاجر ورجع إلى وطنه، أو أرسله النبى صلى الله عليه و آله إلى بلد ولم يرجع عنه، فهل يخرج عن

ص: ۱۳

کونه صحابیاً؟ کلّا وأَلْفُ کلّا.

بقی أمرٌ:

وهو أنَّ تخلّل الردّة بین الإیمان والموت، هل یکون مخلًا بالصحبة أملا؟

ظاهر الجمهور عدم ذلک، فلو آمن بالنبیّ، ثمَّ ارتدَّ، ثمَّ رجع وحسن إسلامه وإیمانه عُدَّ صحابیّاً، ولم یرتفع عنه معنی الصحبة؛ علی تردّدٍ فی هذا لمعارضته لبعض الآیات والروایات أوّلًا، ومن حیث صدق الصحبة ثانیاً.

نعم، لو قیل بأنَّه لم ینتفِ معنی الصحبة عنه حتی یحتاج إلی البحث فی صدقه أمکن ذلک.

وأمَّا بالنسبة إلی الروایة عنه صلی الله علیه و آله: فلم یشترطه هذا الکاتب- وهو الحقّ- فإنَّ الروایة عن النبیّ لیست فصلًا مقوِّماً لمفهوم الصحبة حتی یدَّعی عدم تحققه بدون هذا الفصل، بل یمکن عدّ الرجل صحابیاً وإن عدَّ فیمن لم یروِ عنه صلی الله علیه و آله.

والأمر الأخیر المتبقی حول التعریف هو اشتراط الاختیار فی ذلک؛ فلو کان مضطراً أو مکرهاً علی الإیمان، لم یتحقّق منه أهمّ شرط فی الصحبة، وإن تحقّقت صحبته للنبیّ صلی الله علیه و آله بمعناها اللغوی أو الاصطلاحی علی بعض التعریفات السابقة.

وکذا یخرج عن تعریفه عند من یشترط فی التعریف الإیمان عن معرفة بشخص النبیّ، فمن آمن به وصحبه دون معرفة له علی

ص: ۱۴

أنَّه نبی اللَّه محمّد صلی الله علیه و آله الذی أرسله اللَّه للخلق کافَّةً، فهو لیس بصحابیّ، علی هذا.

وأمَّا عدم اشتراط الرؤیة من قبل الکاتب:

فهو إمَّا لالتفاته لدخول ذلک فی لفظ الصحبة، وإمَّا لإهماله لهذا الشرط.

ولکن لا یخفی أنَّ الاکتفاء فی تحقّق الصحبة بکلّ من آمن بالنبیّ، وإن لم یره- أی مع عدم اشتراط الرؤیة- یوسِّع دائرة الصحبة لمثل من آمن به ولو فی بلد آخر، فاشتراط رؤیة النبیّ أمرٌ مهمٌّ فی ثبوت الاتّصاف بالصحبة، وإلّا فمن آمن به ولم یره، أقوامٌ کثیرون یعدّون بالآلاف، إمَّا لعدم قصدهم لرؤیته، وإمَّا لتعذر ذلک علیهم، وإمَّا لتوجّههم لاشتراط رؤیته، ولکنَّهم لم یُوفَّقُوا لذلک، کما نقل عن أبی ذؤیب الهذلی حیث رأی النبیّ بعد موته وقبل دفنه (۱) ۱۵ فلم یعدّ من الصحابة، وإمَا لعدم کونهم من أهل عصره أصلًا، کالتابعین ومن تلاهم، فکلّ من جاء بعد موت النبی صلی الله علیه و آله ممَّن آمن به ینطبق علیه هذا المعنی، مع عدم صدق الصحبة.

ثمَّ إنَّ اشتراط الإیمان مهمٌّ باعتبار آخر وهو: أنَّ ذلک یُخرج من دخل فی الدین خوفاً من السیف، أو من دخل فیه رغبةً فی المال أو الجاه، ولیس إیماناً بالدین، ولعلّ فی بعض الروایات

۱- الدرجات الرفیعة: ص ۶

ص: ۱۵

المشیرة إلی أسباب الهجرة توضیحاً لهذا المعنی، کقوله: «فمن کانت هجرته إلی دنیاً یصیبها، أو إلی امرأة یحبّها، فهجرته إلی ما هاجر إلیه..» (۱) ۱۶ فهذه العبارة من الرسول صلی الله علیه و آله وإن کانت فی مقام بیان الهجرة المطلوبة وهی الهجرة إلی اللّه فقط، لکنّها تبیّن لنا- من منظور آخر مطلوبیَّة الإیمان بالدین من أوّل عمره إلی آخره، ولذا فیمکن التشکیک فی صحبة مَن آمن بالنبیّ مدَّة حیاته وانقلب بعد موته صلی الله علیه و آله وأظهر ما کان مُخفیاً له من أمارات النفاق والجحود بالدین وبأوامره ونواهیه.

والأمر المهمّ الذی ندّعیه- کما سیأتی مع أدلته- هو أنَّ الصحبة تمثّلت فی الصحابة بصورتین وفی فئتین منهم:

۱- صورة تحکی واقع أولئک الصحابة وهی أنَّهم أطاعوا النبی فی کلّ شیء وسلَّموا له فی أوامره ونواهیه، فهؤلاء هم الذین وردت فیهم الآیات المادحة والروایات المعرِّفة لهم بصفات مخصوصة (۲) ۱۷ والمبیّنة لمقاماتهم عنداللّه عزَّوجلَّ.

۲- صورة تحکی واقعاً مزیَّفاً، وملبّساً بقناع یخفی وراءه الکثیر من الحوادث التی صدرت منهم بعد وفاته صلی الله علیه و آله والتی أخبر

۱- صحیح البخاری: ۱/ ۳، ۳۰، ۲/ ۸۹۴، ۳/ ۱۴۱۶، ۶/ ۲۴۶۱ وغیره من المصادر الحدیثیَّة

۲- ففی تعبیر القرآن دقَّة بالغةٌ حینما عبَّر ب والذین معه ولم یقل صحبوه أو من صحبه... فتأمل!

ص: ۱۶

بهـا النبیّ صـلی الله علیه و آله وحـذَّر من الوقوع فیهـا، بـل حـذَّر القرآن منها فی بعض آیاته، قال تعالی: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَی أَعْقَابِکُم وَمَنْ یَنْقَلِب عَلَی عَقِبَیهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً (۱) ۱۸،

وقال تعالی: وَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّمَا یَنْکُثُ عَلَی نَفْسِه (۲) ۱۹ وقال صلی الله علیه و آله: «لا ترجعوا بعدی کفَّاراً یضرب بعضکم رقاب بعض» (۳) ۲۰.

وعلیـک بـالتتبع لروایـات إخبـارات النبیّ صـلی الله علیه و آله بالمغیّبات، وبآخر الزمان، وسـتجد الکثیر ممَّا حـدّثناک عنه موجوداً فی طیَّات تلـک الصـفحات، والـتی لم یرغب هـذا الکـاتب أن یکشف السـتار عنهـا خوفـاً من ظهور مـا لایـمکنه الجواب عنه، فیقع فی ما لاتحمد عقباه.

وأهمّ أمرٍ نمنع من تحقّقه کلازم للصحبة- وهو مدّعی الکاتب- أن تکون الصحبة بنفسها عاصمةً لمن وُصِفَ بها.

وسوف نسـرد للقارىء المحترم لاحقاً مجموعة من أسماء الصحابة ممَّن لم یحسن الصحبة فی حیاة النبیّ صلی الله علیه و آله فضلًا عمَّا صدر

۱- آل عمران: ۱۴۴

۲- الفتح: ۱۰

۳- صحیح مسلم: ۱/ ۸۲ رقم ۶۵- ۶۶، صحیح البخاری: ۱/ ۵۶، ۲/ ۶۱۹، ۴/ ۱۵۹۸، مجمع الزوائد لنور الدین الهیثمی: ۶/ ۲۸۴ وقال: رواه أحمد، رجاله رجال الصحیح

ص: ۱۷

منهم بعد وفاته (۱) ۲۱.

وعلی کلّ حال، فما ذکره من معنی للصحبة لایمکن الالتزام به علی إطلاقه، بل حتّی الکاتب نفسه لو التفتَ وتأمّل فی ما عرَّف به الصحابیّ، لتوجَّه لما یلزم علیه من ذلک فتخلَّی عنه.

فالصحابیّ- عندنا-: من رأی النبیّ صلی الله علیه و آله وآمن به وصدَّقه فی کلّ ما جاء به، وسلَّم بکلّ أوامره ونواهیه قلباً واعتقاداً وعملًا مدَّة حیاته ومات علی ذلک.

ومن أهمّ أوامره، والذی ما فتیء یکرّره حال حیاته، هو التمسّک بولایة أمیر المؤمنین ویعسوب الدین علیّ بن أبی‌طالب علیه السلام.

کما أنَّ من أهمّ نواهیه منعه عن مخالفة أمیر المؤمنین، و الانحراف عن بیعته وجادَّته، فإنَّه علیه السلام مع الحقّ والحقّ معه، کما نطقت بذلک النصوص النبویَّة المستفیضة إن لم تکن متواترة (۲) ۲۲.

۱- وللتوسع فی هذا البحث: ارجع لکتاب الدرجات الرفیعة للسید علی خان المدنی، وکتاب النص والاجتهاد للسید شرف الدین، وکتاب فی رحاب العقیدة للسید محمد سعید الحکیم، وغیرها من الکتب المبسوطة فی هذا المجال

۲- سنن الترمذی: ۵/ ۲۹۷ حدیث ۳۷۹۸، مجمع الزوائد: ۷/ ۲۳۵، المستدرک: ۳/ ۱۱۹، ۱۲۴، تاریخ دمشق لابن عساکر: ۳/ ۱۱۹ حدیث ۱۱۶۲، کنز العمَّال للمتقی الهندی: ۱۱/ ۶۰۳ حدیث ۳۲۹۱۲، تاریخ بغداد: ۱۴/ ۳۲۱، فرائد السمطین: ۱/ ۱۷۶- ۱۷۷، وغیرها من المصادر

ص: ۱۸

هذا کلُّه من جهة أصل معنی الصحبة لغة واصطلاحاً.

وأمَّا من جهة أثر الصحبة؛ فنحن الشیعة الإمامیَّة نعتقد بأنَّ ذات الصحبة للنبیّ صلی الله علیه و آله لیست موجبةً لإثبات صفة مدحٍ لم تکن متحقّقةً فی الشخص بدونها، وکذلک الصحبة لاتوجب نفی ما أُلصِقَ بالشخص ممَّا دلَّت الروایات علیه (۱) ۲۳.

وهذا هو القول النصَفُ الذی یأخذ الحقَّ ممَّن ظلمه، حیث نُسِبَت الصحبة لمن لم تتحقّق فیه، حیث قد وُجِدَ الکثیرُ ممَّن ادعی له المصداقیَّة للصحبة، ولم یکن کذلک، أو کان منهم ثمَّ بَانَ عنهم بأنْ أساء الصحبة ولم یحترم حقَّ العِشْرَة مع النبی صلی الله علیه و آله فی حیاته أو بعد مماته صلی الله علیه و آله.

إذ أنَّ ممَّن ادّعیت له الصحبة من ثبت ارتداده عن الدین بعد أن تَدَیَّنَ به، وهم کثر، ولیس ذلک ممَّا یدعو للعجب، إذْ أنَّ من بین الصحابة- علی ما عرَّفوا به الصحابیّ الذین یعدّون بالآلاف- من لیس مصوناً عن السُنَن التاریخیَّة أو الاجتماعیَّة، أو معصوماً عن الآثام النفسیَّة للإنسان ککائن بشریّ قد تغلب علیه النفس الأمَّارة بالسوء، ویغلب علیه هواه، وحبُّهُ الجاهَ والسلطانَ لأن یرتکب ما یخالف أوامر الرسول صلی الله علیه و آله ونواهیه، والشواهد علی

۱- ولا شکَّ أنَّ الکثیر من الأصولیین- من علماء العامَّة- یرون هذا الرأی فی قول الصحابی، وإن کان هناک شرذمة منهم مثل ابن حزم وابن تیمیَّة یرون أنَّ کل الصحابة علی صواب، وأنَّ قولهم حجَّة مطلقاً

ص: ۱۹

ذلک کثیرة من الصحاح فضلًا عن کتب التاریخ والسیرة.

وبعد هذه المقدمة ندخل فی البحث ضمن نقاط:

النقطة الأولی: بعد أن استفتح الکاتب موضوعه ببضع آیات من الکتاب العزیز ذکر أنَّ الآیات صریحةٌ فی التلازم بین الرسول الکریم وأصحابه، من حیث تبیینها لوظیفة الرسول بین صحبه، وهو قد قام بها أفضل قیام، وعلَّمهم وربَّاهم أفضل تربیة (۱) ۲۴ فلا شکَّ وأنَّ المتربّین تحت یده، والمتعلّمین بتعالیمه سیکونون أفضل الناس بعده صلی الله علیه و آله.

ولنقرأ معاً هذه الآیات، لنری هل أنَّ فی شیءٍ منها إشعاراً، فضلًا عن التوصیف، فضلًا عن الدلالة علی ما یدعیه هذا الکاتب، من تلازمٍ أم لا؟

قال تعالی: رَبَّنَا وَابعَثْ فِیهِم رَسُولًا مِنْهُم یَتْلُو عَلَیْهِم آیَاتِکَ وَیُعَلِّمُهُم الکِتَابَ وَالحِکْمَةَ وَیُزَکِّیهِم إنَّکَ أَنْتَ العَزِیزُ الحَکِیم (۲) ۲۵.

وقال تعالی: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الأُمِّیینَ رَسُولًا مِنْهُم یَتْلُو عَلَیْهِم آیَاتِهِ وَیُزَکِّیهِم وَیُعَلِّمُهُم الکِتَابَ وَالحِکْمَةَ وَإنْ کَانُوا مِن قَبْلُ لَفِی ضَلَالٍ مُبِین (۳) ۲۶.

۱- صحبة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: ص ۵- ۸

۲- البقرة: ۱۲۹

۳- الجمعة: ۲

ص: ۲۰

فما ترشد إليه هذه الآياتُ هو أنَّ اللَّه بعث النبی صلی الله علیه و آله لتعلیم الناس ولتزکیتهم وتربیتهم، فهو بیانٌ للغایة من البعثة، ولایختصّ ذلک بخصوص الصحابة، فلیس فیه ما ادّعاه الکاتب من التلازم بین الرسول کمعلِّم والصحابة کمتعلّمین، بتوسط تحقّق تلک الغایة فیهم، بل فیها دلالةٌ علی عکس مدّعاه ومطلوبه، وهو أنَّهم قبل مجیء النبیّ صلی الله علیه و آله وقبل تعلیمهم کانوا فی ظلمات الجهل والضلال، ولکن بعد أن علَّمهم النبی صلی الله علیه و آله ما ینبغی لهم العلم به، وما ینبغی لهم عمله؛ هل اهتموا جمیعاً لِمَا أمر به صلی الله علیه و آله؟ وهل اتّبعوه؟

وهل خرجوا من الضلال إلی الهدی بأجمعهم؟.

هذا ما لاتتحدّث عنه تلک الآیات، و من کان له مسکة من عقلٍ یتوجّه إلی عدم الملازمة بین أن یکون المعلّم کاملًا، وبین أن یکون المتعلّمون استفادوا مما علَّمهم، والوجدان قائمٌ علی ذلک.

وإلّا فلو تمَّت تلک الملازمة لحکمنا بتزکیة کلِّ الأمم والشعوب التی سبقت ملَّتنا، إذ أنَّ الأنبیاء- قبل نبیِّنا صلی الله علیه و آله- قد أرسلوا إلی أقوامهم لیعلَّموهم ولیقوموا بتزکیتهم.

ولکنَّ هذا اللازم واضح البطلان کما لا یخفی.

وعلی هذا، فلا ربطَ بین ثبوت کلّ تلک الصفات للنبی صلی الله علیه و آله

ص: ۲۱

وبین عـدم ثبوتها لمن کان معه من الناس؛ ممَّن قـد یتوجّه لتعالیمه، وقـد لایتوجَّه لها، لعارض أو لمانع، ولو کان المانع هو عدم الرغبة فیهـا، فقـد ورد عـن بعضــهم اشـتغالهم بالصـفق فی الأسواق، فقـد روی البخـاری عـن أبی هریرة: «إنَّ إخواننـا مـن المهـاجرین کـان یشغلهمالصـفق بالأسواق، وإنَّ إخواننا من الأنصار کان یشـغلهم عملأموالهم» (۱) ۲۷. وفیأخری: «کان یشـغلهم صفق بالأسواق» (۲) ۲۸ وفی ثالثة مثلها (۳) ۲۹ ورابعة کذلک (۴) ۳۰ وفی خامسة عن أحمد فی مسنده (۵) ۳۱ وفی سابعة «من المهاجرین کانت تشغلهم صفقاتهم فیالأسواق، منالأنصارکانت تشغلهم أرضوهم والقیام بها» (۶) ۳۲.

إذن، فإمَّا أن ینکروا هذه الروایات، ویلزم منه أحد أمرین:

۱- أن یردّوا بعض ما اتّفق علی صحّته، وهو ما وجد فی صحیح البخاری ممَّا یرویه هذا الراوی، ولم یکن معلّقاً، وهذا یفتح الباب علی مصراعیه للتشکیک والردّ لکثیر من روایات البخاری.

۲- أن یمنعوا صدور مثل هذه الروایات عن أبی هریرة،

۱- صحیح البخاری: کتاب العلم، حدیث ۱۱۵

۲- المصدر السابق، کتاب البیوع، حدیث ۱۹۰۶

۳- المصدر السابق، کتاب المزارعة، حدیث ۲۱۷۹

۴- صحیح البخاری، کتاب الاعتصام بالکتاب والسنَّة، حدیث ۶۸۰۷

۵- مسند أحمد، باقی سند المکثرین، حدیث ۶۹۷۶

۶- المصدر السابق

ص: ۲۲

وهذا أيضاً يفتح الباب للتشكيك فى الكثير من مرويّات هذا الرجل (۱) ۳۳.

فليس باختيار الكاتب أن يمنع أو أن يُثبت ما شاء له قلمه أو مِقَصُّ رقابته، وقد اتفق العلماء، وممَّن يعتمد على قوله منهم، على صحَّة كلّ ما رواه البخارى فى صحيحه، مما لم يُعَلِّقْهُ، ووجوب العمل به. فهو إلزام لهم بما لامفرَّ منه.

وإمَّا أن يعتقدوا بصدور هذه الروايات، ويتمُّ الحفاظ على مرويّات البخارى، إلّا أنَّها ستكون مبتلاة بهذا الإشكال، وهو انشغال الصحابة عن النبى صلى الله عليه و آله وعن تعاليمه، فيثبت مدَّعانامن

۱- وفى الواقع ما فتىء أرباب البحث والتحقيق من العامة والخاصة يوماً فيوماً يظهرون المزيد من غوامض حياة هذا الرجل، ولقد بيَّن بعضها قبل ثلاثين عاماً الشيخ محمود أبو رية فى كتابه شيخ المضيرة وسبقه السيد عبدالحسين شرف الدين، وتلاهما الكثير ممَّن تتبع أثر هذا الصحابى، وفى هذه الأيام وصلت بأيدينا رسالة لمؤلف مغربى وهو الدكتور مصطفى بو هندى، واسم الرسالة «أكثر أبوهريرة» شكَّك فيه ثبوت أصل صحبته للنبى بروايات من قِبَلِهِ نفسه، وأنَّه كان قد سافر إلى طور سيناء للقاء كعب الأحبار فتلا عليه أموراً من التوراة، وهذا يوجب التشكيك فيما يرويه عن النبى، خاصة، وأنَّه كان يهودياً، وكعب الأحبار لم تخرج اليهودية من قلبه كذلك، بشهادة الخليفة الثانى، ولعله أظهر الأسلام ليكيد له، بل ما تكشف عنه كلماته وآثاره، وكلمات أمير المؤمنين وأبى ذرّ وغيرهم من الصحابة حيث يصمونه بابن اليهودية وباليهودى، وفى هذا أكبر دليل وموجب للتشكيك فى مرويات هذا الرجل وصاحبه!! خاصة الروايات الإسرائيليَّة

ص: ۲۳

عدم توجّههم إلى تعاليم النبى صلى الله عليه و آله (۱) ۳۴.

وكذا يلزم عليهم ما ندّعيه فى المقام من عدم الملازمة بين ما بُعث لأجله النبى صلى الله عليه و آله وما أدَّاه من وظيفة، وبين التزامهم بتعاليمه صلى الله عليه و آله فيثبت مدَّعانا من عدم التزام الكثير منهم بتعاليمه، بل عدم مداومة حضورهم عنده للتعلّم والاستفادة من علمه صلى الله عليه و آله والأخذ عنه صلى الله عليه و آله.

ثمَّ ما الذى يقصده من قوله: «نصوص صريحة»؟

فأىّ صراحة فيها؟ وليس من حجَّة عند العقلاء إلّا النصوصيَّة أو الظهور، والفرض أنَّها ليست نصَّاً فى المدّعى، كما لايدعيه هو، فإنَّ النصّ ما لايقبل التأويل، ولا ظهور- أيضاً- فإنَّ الظاهر منها ما ذكرناه آنفاً، وما عداه يحتاج إلى قرينة معيّنة، أوصارفة عن غيره، وأنَّى له هذا!!؟ إن كان يتكلّم على طريقة العرف فى محاوراتهم!.

النقطة الثانية: لقد ادّعى أنَّ من كمال نعم اللَّه على نبيَّه أن اختار له خير الأصحاب فهماً ورجولة وشجاعة.... إلى آخر ما ذكر.

وهذا أمر مسلَّم فى الجملة ولكن.. لنا معه فى ذلك عدَّة مواقف:

۱- سيأتى فى ما بعد ما يشير إلى هذا من فعل بعض الصحابة؛ بل جُلُّهم، وكفانا أن نتوجه لما يمكن وروده عليهم من النقص فى ما لو أسقطوا مرويات أبى هريرة فقط عن البخارى، فهى بما يساوى ۲۶٪ من كل رواياته

ص: ۲۴

الموقف الأول: لا شکَّ أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لما اصطفی نبیه لم یستشر أحداً فی ذلک وهذا معلوم لکل أحد، وحینما أرسله فإنَّما أرسله إلی الناس کافَّةً، ولکنَّ التبلیغ والانذار کان أولًا لقومه، ثمَّ شیئاً فشیئاً تدرجت الدعوة حتی عمَّت الخافقین، ولم یکن قبول دعوته من قِبَل الناس شرطاً فی صحَّة تلک الدعوة، بحیث إنَّه لو لم یقبل أحدٌ منهم دعوته لزم بطلان نبوته، وهذا مسلم أیضاً، إذن فالنبی نبی ورسول من اللَّه عزَّ وجلَّ سواء قبلوا أم رفضوا، فهو نبی بالحق قد جاء من عند الحق شاؤا أم أبوا، اتبعوه أم خذلوه.

ثمَّ إنَّ دعوته لهم إنَّما کانت لرفع جهالتهم ودحض باطلهم وضلالهم، فهم الذین کانوا محتاجین لدعوته، وبمجیئه لهم تتم النعم علیهم وتکمل معارفهم، فهم أهل الحاجة للتکمیل بالتصدیق بنبوته (۱) ۳۵. ولکن، هل صدَّقوا أم کذَّبوا؟

هذا ما لا یفصح عنه الکاتب مخافة انکشاف بعض تلک الصفحات المظلمة من تاریخ مَنْ نسب أو ادعی لهمالصحبة، ومن والاهم لیس إلّا.

الموقف الثانی: ما یتعلق بدعواه أنَّهم خیر الأصحاب فَهْمَاً.

فهذا ما تکذّبه الروایات المتناثرة هنا وهناک فی صحاحهم

۱- فاْقرأ قوله تعالی الیوم أکملتُ لکم دینکم وأتممتُ علیکم نعمتی ورضیت لکم الإسلام دیناً فإنَّ خطاب إکمال الدین وإتمام النعمة متوجه للناس

ص: ۲۵

وغیرهـا، وهـاهو الخلیفـة الثـانی یقول: «نـدمتُ علی أمورٍ لم أسـأل عنها رسول اللّه قبل وفاته.. ومنها أنَّه مات رسول اللّه ولم أسأله عن قوله تعالی: وفاکهةٍ وأبًا (۱) ۳۶ وکفی بهذا نفیاً للفهم الکامل عند هذا المؤلّف، وإلّا فالشواهد کثیرة.

وأمَّا الرجولة؛ فهل یقصد أنَّهم کانوا أصحاب کلمةٍ نافذةٍ؟

وهذا المعنی الکنائی المراد منها.

أم یقصد أنَّهم کانوا أصحاب مواقف عظیمة فی الحقّ، فهذا لاینکره أحدٌ، لکنَّه کان لبعضهم لامطلقاً.

وکذا الکلام فی صفة الشجاعة، وقد کان المبرَّز فیها أمیر المؤمنین علیه السلام بل إنَّ أمر شجاعته ممَّا ثبت بالتواتر المعنوی.

ولکنَّ غایة ما یثبت بالذی ساقه المؤلّف: أنَّ بعض صحابة الرسول کانوا أهل فهمٍ ورجولةٍ وشجاعةٍ؛

نقول له: ثمَّ ماذا؟ وهل یتصوّر منه أن یثبت به أنَّ کلّ صحابة النبی صلی الله علیه و آله وعددهم ینوف علی الآلاف، کانوا کذلک!!؟

إنَّ هذا لممَّا یُضحک الثکلی!.

الموقف الثالث: ما رام إثبات مدّعاه من خلاله وهو قول النبی صلی الله علیه و آله: «الناس معادن فخیارهم فی الجاهلیَّة خیارهم فی

۱- سورة عبس، آیة ۳۱

ص: ۲۶

الإسلام، إذا فقهوا» (۱) ۳۷.

فبالإضافة للمناقشة فى سند هذه الرواية، فإنَّ المناقشة فى دلالتها واضحة، بل حتّى لو تمَّت دلالتها فغاية ما تثبته هو أنَّ كون الرجل من أهل الخير فى الجاهليَّة فهو كذلك فى الإسلام، بشرط التفقّه فى الدين، وهذا أجنبى عمَّا يروم المؤلف إثباته إطلاقاً.

و لاينقضى عجبى من هذا الكاتب، فإنَّ كلّ استدلالاته بهذه الصورة، فهو يتوهّم أو يتقصّد هذا النحو من الكلام، بأن يذكر الوصف المطلوب تحقّقه من الصحابة، ومن ثمَّ يدّعى ثبوته فيهم كلِّهم، وكأنَّه أمرٌ مسلَّمُ الثبوت، وممَّا لايقبل النقاش أو الإنكار.

أخى الكاتب- وأنت يا أخى القارىء- ثبّت العرش ثمَّ انقش، فلو قال لك شخص: إنَّ فى الطريق مَن اسمه زيد، فهل يُثبِت هذا أنَّ كلَّ مَن فى الطريق، اسمه زيد!!؟

الموقف الرابع: إنَّ الإنسان العاقل يسير بقدر ما يسير به

۱- صحيح البخارى: ۶/ ۲۹۸ ومسلم برقم ۲۵۲۶ باب خيار الناس، إذ أنَّ آفة هذا الحديث هو انتهاء جلِّ- بل كلِّ- طرقه لأبى هريرة، وفيه ما فيه، علاوة على وجود حرملة بن يحيى الذى يروى عنه مسلم كثيراً وقد قال عنه أبو حاتم: يُكتَب حديثه ولا يحتج به، وقال عنه ابن عدى سألت عنه عبداللَّه بن محمد الفرهاذانى؟ فقال: ضعيف، ولم يجوز أحمد بن صالح الرواية عنه، وأمَّا من جهة المتن ففى تتمته: «.. وخير الناس فى هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه...» ولعل فى هذا إرادة المدح والتقرب من قبل أبى هريرة إلى بعضهم ممَّن كان شديداً على الدين قبل تظاهره بالإسلام

ص: ۲۷

الـدليل مرشـداً لطريقه، فـأنّى يوجهه يختـار، ولا ينبغى له أن يوجه هو الـدليل ويُكيّفُه ويُطوّعه كما يشاء، فإنَّ هـذا هو الانحياز، وعـدم الحياد العلمى بأن تجعل الـدليل طوع هواك وطبق رؤاك، وهو أمر ممقوت من كل أحـد، ولـذا نقول: قد صـحَّت الآيات بأنَّ الرسول جـاء لتزكيـة المـدعوِّين ولتعليمهم وتربيتهم، وقـد فعـل مـا كُلِّف به وأدَّى مـا حُمِّل، ولكنوردت روايـات تـاريخيَّة موثقـة أوأحـاديث مصـححة ممَّن لاـ يمكن الطعن عليه فيها، وهى تثبت أنَّه قـد صـدر من بعض أولئك الصـحابة ما يخالف تلك التربيـة التى أداها النبى صلى الله عليه و آله بل ما يخالف الدين كلًّا، والعقل السليم، فيلزمنا أحد أمرين:

إمَّا أن نقول- والعياذ باللَّه- إنَّ الرسول قد علَّمهم وربَّاهم على ذلك الأمر المشـين. وهذا هو الكفر بعينه، كما هو بعيد عن ساحة قدسه صلى الله عليه و آله.

وإمَّا أن نقول بـأنَّ مـا صـدر منهم إنَّمـا هو من فعلهم الخـاصّ بهم، والـذى لم ينصَّ عليه النبى صـلى الله عليه و آله بل لايرتضـيه، وهو مخالف لما أراده صلى الله عليه و آله (۱) ۳۸.

ولاـ شـكَّ أن لاـزم القول الأـوّل رمى النـبى صـلى الله عليه و آله بـالنقص، ونسـبة عـدم حسن تبليغ الرسالـة إليه! وهـذا ينـافى الآيـات والروايات

۱- ولذا فقد ذكروا فى بعض قضايا خالد بن الوليد قتله عامر بن الأضبط بعد إظهاره الإسلام والسلام، وغضب النبى لذلك وقال اللهم إنى أبرأُ إليك مما فعل خالد- قالها ثلاثاً- وسيأتى ذكر مصادرها

ص: ۲۸

المثبتة لعصمته صلى الله عليه و آله وأنَّه لم يقصّر فى التبليغ.

بينما لامانع من الالتزام بالقول الثانى، إذ ليس فيه نسبة طعن لساحته صلى الله عليه و آله وليس فيه إلّاإثبات ما يمكن أن يصدر من أىّ فرد غير معصوم قابل لصدور الخطأ منه (۱) ۳۹.

إن قلتَ: يمكن لنا أن نختار شقّاً ثالثاً وهو تكذيب تلك الروايات.

قلتُ: مضافاً إلى كثرة تلك الروايات بحيث لا يمكن تكذيبها كلّها، فإنَّ الموجب لتكذيب الخبر ما هو؟

إنَّ الموجب لتكذيبه: إمَّا مخالفته لضرورى النقل أو ضرورى العقل، وإمَّا وجود ما ينهض بمعارضته من النصوص الأخر، ولا يخفى أنَّ فيما ينقل من وقائع وقعت أو حوادث صدرت من بعض الصحابة، والالتزام بذلك فيها ليس فيه خلاف لضرورىٍ من عقل أو نقل، كما ليس فيها روايات أخرى معارضة لها حتى يلزم

۱- والمشكلة الكبرى التى يعيشها الكاتب وأمثاله هو أنَّهم قد ولدوا ودرجوا على هذه الهالة القدسيَّة لمن صَاحَبَ النبى أو عاش معه فى زمانه أو روى عنه، وكأنَّ تلك الأمور توجب العصمة لهم، وابتنت عقولهم على ذلك لأجيال متتالية ومترامية الأطراف والأشخاص، ولمسافات فكرية معمقة من قبل الأيدى الخبيثة المغرضة التى ما فتئت تعبث بالتاريخ والحديث والسيرة إرضاءاً لأيدى غريبة عن الدين، واللَّه المستعان، ولا حول ولا قوَّة إلا باللَّه العلى العظيم

ص: ۲۹

تساقطهما، والفرض عدم وجود آیة تثبت العصمة لهم جمیعاً حتی یصار إلی تأویل تلک الروایات مهما أمکن.

کما أنَّ الروایات قد وردت لنا من قبل أشخاص لا یمکن الطعن علیهم کما لو کانت فی الصحیحین أو المسانید الأخری بشرط الشیخین، وهکذا فی کل روایة، ولو کانت من کتاب غیر تلک الکتب، وکانت جامعة لشرائط صحَّة الخبر.

ولو التزم بسقوطها للزم التخلّی عن علم الحدیث والرجال، وبالتالی یجوز لهم أخذ کلّ حدیث دون البحث فی سنده أصلًا، وهو کماتری!.

الموقف الخامس: لایمانع أحدٌ، بل ممَّا لایُنکَر: أنَّ الرسالة المحمدیَّة، و الهدی النبویّ الشریف هو نعمةٌ عظیمةٌ، بل هی من أعظم النعم علی الصحابة بل علی الأمَّة جمعاء، وکما قال تعالی فی آخر الآیة المذکورة: ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُوتِیهِ مَنْ یَشَاء (۱) ۴۰.

ولکنَّ السؤال الذی یبقی بلاإجابة بعدُ: هل أدّوا حقَّ تلک النعمة؟ وهل شکروا للَّهذلک الفضل الذی هم فیه؟ فقد قال تعالی: قُلْ لَا أَسْأَلُکُم عَلَیْهِ أَجْرَاً إلَّا المَوَدَّةَ فِی القُرْبَی (۲) ۴۱.

فهل توَدَّدوا لذوی القربی أو عَادَوْهُم؟.

۱- سورة المائدة: ۵۴

۲- سورة الشوری: ۲۳

ص: ۳۰

وقد كان هذا أمراً يسيراً فى مقابل تلك النعمة العظيمة، والفضل الإلهى الكبير، والذى لم يؤدّوه كما ينبغى، وقد دلَّت على ذلك الروايات الكثيرة فى الصحاح وغيرها.

الموقف السادس: قد قالوا فى فقه القضاء: «البيّنة على المدّعى، واليمين على من أنكر».

وقد ادَّعى الكاتب: أنَّ هناك ملازمةً بين المحبَّة للرسول، والاعتقاد بأنَّه أدّى الأمانة، وبين تعديل الصحابة الذين أخذوا عنه الحديث، وعاش بين أظهرهم، وأنَّ الطعن فيهم طعنٌ فى إمامهم وقائدهم!

فما هى بينته على ذلك!؟ ففى كلّ ما عرضه لم يأتِ لنا بدليل على ما ادَّعى، لا شكَّ إذن أنَّه يرسل الكلمات جزافاً.

فإذا تبيَّن للمنصف العاقل أن لابيّنة للمدعى، ظهر له أن لاملازمة بين الأمرين قطّ، بل قد يجتمعان فى واحدٍ ويفترقان فى آخر، والتاريخ وتراجم الرجال فيها من الشواهد ما تُملأ به الصفحات.

النقطة الثالثة: وفيها عدَّة إشارات مع هذا الكاتب:

الإشارة الأولى: لقد حاول ثانية أن يضرب على وتر الصحبة والملازمة بين المعلّم والمتعلّم؛ فادعى بأنَّ وِزَانَ الرسول مع صحبه وِزَان رئيس القوميَّة أو الدولة مع أعوانه والمقربين منه، فيما لو جاء شخص يدعى انتسابه إليهم، ولكن يطعن فى المقربين من

ص: ۳۱

الرئیس ویصفهم بالخونة، فلاشکّ أنَّ هذا الرئیس سیغضب لذلک ولن یرضی أن یوصف المقربون منه بتلک الصفات، وهنا عدَّة أمور:

الأول: لقد قاس الرسول الأعظم بمقیاسه الصغیر علی أنَّه رئیس قومیَّة أو دولة، ولکنَّ هذا القیاس مع الفارق؛ لأنَّ رئیس الدولة هو الذی اختار بطانته وقرَّبهم وجعلهم مختصین به، بینما لم یجعل الرسول جمیع صحابته من المقربِّین له، بل کلامک أخذ للدعوی فی الدلیل فی الواقع، وهو مصادرة علی المطلوب.

علاوةً علی تفرّع ما ذکره عن عقیدته القاصرة فی النبی صلی الله علیه و آله بأنَّه قابل للخطأ، ولذا صحَّ له مثل هذا القیاس، والحقّ عندنا عدم صحَّة ذلک، بل الأدلّة العقلیَّة والنقلیَّة قائمة علی بطلان ذلک، وهی قائمةٌ علی أنَّه صلی الله علیه و آله معصوم عن الخطأ فی کلّ شیء وکفانا دلالةً قوله تعالی: وَمَا یَنْطِقُ عَنْ الهَوَی* إنْ هُوَ إلَّا وَحْیٌ یُوحَی (۱) ۴۲ الثانی: لو اکتشف أحد الرعیَّة خیانةً من مقرّبی الرئیس ونسبها إلی الرئیس أو کانت سوف تحسب علیه بما سیشوِّه سمعته عند الملأ، فلاشکَّ أنَّ کشف هذه الخیانة وتبرئة الرئیس منها لیست ممَّا یغضب الرئیس، بل هی ممَّایُسرُّه!!؟

۱- النجم: ۴- ۵

ص: ۳۲

الثالث: قد جعل اعتبار الرسول لصحبه ولقربهم منه کاعتبار رئیس البلد أو القومیَّة لذلک، وهذا لو سلَّمناه فی حدّ ذاته (۱) ۴۳ لم نسلِّم صدوره من النبی صلی الله علیه و آله بنحو عام، فلنا أن نسأله: هل کان اعتبار الرسول لکلّ الصحابة أو لبعضٍ منهم؟ وهم خصوص من کان یری فیهم الإخلاص والتقوی والامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهیه؟ لا أشک فی عدم اختیارک للشقّ الأوّل بل لابدّ أن ترجّح للشقّ الثانی، وإلا فتعالَ لنقرأ تاریخ الصحابة واحداً واحداً، وَلْنُرِی العَالَمَ أَجْمَع کیف أنَّ بعض من تسمِّیهم بالصحابة کانوا علی شکّ من الرسول فی إخباراته (۲) ۴۴؟ وفی أوامره ونواهیه (۳) ۴۵؟ بل حاول البعض منهم التعرّض لقتل النبیّ حین دحرجوا علیه الدباب (۴) ۴۶ بل لم یقبلوا منه قط تبلیغاته المتکررة فی

۱- وإن کان من حیثیات أخری قد یوجب منقصة فی النبی، وذلک لکماله صلی الله علیه و آله ونقصهم، ولعصمته وقابلیتهم للخطأ

۲- راجع واقعة صلح الحدیبیَّة وقول بعضهم: ماارتبت ارتیاباً قبل الیوم، وفی روایة أخری: ما شککتُ مثل الیوم..، وستأتی مصادر هذه القضیة، فانتظر

۳- سیأتی منَّا بیان لبعض الموارد التی صدرت منهم وکانت صریحة فی الامتناع عن امتثال أوامر النبی صلی الله علیه و آله، کما فی إحلاله وذبحه الهدی وشکواه أمر أصحابه لزوجه أم سلمة، وکما فی «أنحجّ ورؤوسنا تقطر؟» صحیح البخاری: ۲/ ۵۹۴ رقم ۱۵۶۸، وکما فی اعتراض البعض علیه فی توقیع الصلح مع قریش.. و.. و

۴- وهی قضیة العقبة ومرور النبی بها فحاول جماعة من أصحابه قد تآمروا علی قتله، وسیأتی ذکر مصادرها

ص: ۳۳

ابن عمه ووليّ أمرهم بعده بلافصل علىّ بن أبى طالب (۱) ۴۷.

الثالث: ونسأل الكاتب المعاصر ونخاطب وجدانه: ألم تجلس على مقاعد الدراسة عبر ترقياتك العلميَّة، ووجدت من الطلاب من لم يوافق أستاذه فى عرض بعض الأمور أو فى القبول بها؟ بل ألم يكن منك أنت بنفسك مثل هذا الأمر فى أن ترفض أو تعارض بعض ما يعرضه أستاذك ومعلّمك من أمور سواء فى مادة البحث أو فى منهجه؟ بل حتّى ولو لم تبدِ هذا المعنى لأستاذك حينئذٍ لكن ألم يكن فى قلبك شيءٌ منه؟

كل هذا وكلاكما غير معصوم عن الخطأ فى اللسان ولا فى الجَنَان ولا فى الاعتقاد، ولكنَّ الفارق بينكم وبين الصحابة- مع أنَّهم كانوا كذلك غير معصومين- أنَّ معلمهم كان معصوماً بإجماع المسلمين وضرورة العقل والنقل، وأنَّهم رأوا النبى صلى الله عليه و آله دونكم، وإلى هنا نصل إلى نتيجة وهى:

۱- وقضية الحارث بن النعمان مشهورة مسطورة فى الكتب، حيث أنَّه لما اتصل إليه خبر تنصيب النبى علياً ولياً ومولى للمؤمنين أتى النبى فقال له: أمرتنا بالصلاة فصلينا وبالصوم فصمنا وبالحج فحججنا وبالزكاة فزكينا أموالنا، ولم تكتف بذلك حتى نصبت ابن عمك علينا وليًّا، أهو أمر من اللَّه أم من عندك؟ قال صلى الله عليه و آله بل هو من عند اللَّه، فخرج وهو يقول: «اللهم إن كان من عندك فأنزل علينا حجارة من السماء» فذهب نحو دابته ليركبها فما أتم ركوبه حتى نزلت عليه حجارة من السماء فوقعت على رأسه وخرجت من دبره فمات من حينه» فراجع تفسير قوله تعالى: سأل سائل بعذاب واقع

ص: ۳۴

أنَّ غير المعصوم قابـل للخطـأ ولكنَّ المعصوم لا نتصور تحقق أو صـدور الخطأ منه، وأنَّ الاشـتباه من غيره- ولو كان هـذا الغير هو من الصحابة- يمكن تحققه وصدوره، وأنَّ الاختلاف مع المعلِّم يمكن صدوره أيضاً، ولكنَّ الأمر المهم والمتبقى هنا هو أنَّ الاختلاف مع المعلّم أمر طبيعىّ لو كان غير معصوم وقابلًا للخطأ، لأنَّه بشـرو لكنَّ اختلاف الصـحابة مع نبيهم ومعلمهم أليس قبيحاً؟ وعدم انصياعهم لأوامر نبيهم أليس قبيحاً؟ بل ألم يكن عدم اعتقادهم بما يقول فضيعاً منهم وأمراً شنيعاً؟

لا تقل لى: كلّ ذلك لم يصدر، وأنَّ كلّ ما ذكره المؤرّخون محض أساطير وأكاذيب لفَّقوها.

فإنَّ ما أستندُ إليه فى دعواى هذه ليس تلك الكتب التاريخيَّة؛ بل هى روايات الصحاح والأسانيد.

وإنَّ مقتضـى قواعـد البحث العلمى أن تكون ممَّن يتبع الـدليل لا- ممَّن يُطَوِّع الـدليل كمـا يشـاء، أو يقبل منه ما يوافق هواه ويرفض ما يخالفه.

والمصادر موجودة بين يديك، وليس عليك إلا الخلوة بنفسك متأملًا فى الروايات متصفحاً لكتب التأريخ، ولا تقل: «إنَّ تلك الكتب كلّها أساطير»، فتكذب كلّ ما لا يوافق رأيك.

وياترى: هل يبقى لك كتاب تعتمد عليه؛ لو رددتَ كلّ ما خالف هواك؟

ص: ۳۵

الإشارة الثانية: وأمَّا ما تعرضتَ له من أنَّ ذمّهم يسقط مباشرة وبلا تأنٍ، وذلك فى مقابل مدح رئيس الدولة أو القوم لهم، وفى مقابل كلّ من يذمّهم.

فأين قد صحَّ عن النبىّ الأكرم أنَّه مدحهم عامّة ومطلقاً؟

وأيضاً لو صدر عنه مدح لبعض الصحابة، حتى ما كان بعنوان الصحابة فلابدَّ من صرفه إلى خصوص الذين اتبعوه بإحسان وأحسنوا الصحبة، وبذلوا أنفسهم دونه، لا كلّ من تحقق أنَّه صحب النبىّ بالمعنى الذى ذكرته أوَّل الرسالة، وهو من آمن بالنبىّ وصحبه ولو لفترة من الزمن ومات على ذلك.

فما العبرة فيمن آمن بالنبىّ وصحبه مدَّة حياته أو مدَّة حياة النبى صلى الله عليه و آله لا حبَّاً فى الإسلام؛ وإنَّما لسلطان النبى صلى الله عليه و آله أو لوجاهة بين الناس، وما أكثر أغراض الناس واختلاف أهدافهم وغاياتهم فى التقرب من الرؤساء، هذا أوّلًا.

وثانياً: لو فرضنا صحَّة مدح النبىّ للصحابة؛ فقد ثبت عندنا ورود ذمٍّ لبعضهم أو لبعض الصفات الموجودة فيهم، و ثبت عندنا من روايات بطريق صحيح غضب النبى على بعضهم، وعدم رضاه عنهم أو تبرؤه مما عملوا، و ثبت من بعض الروايات أنَّه قد صدر منهم بعد وفاته صلى الله عليه و آله ما لا يُرضيه لو كان حيّاً بين أظهرهم.

فطريق الجمع بين الأمرين أن نخصّص المدح الوارد فى الصحابة بمن لم يصدر منه ما يشين الصحبة ويباعدها عنه.

ص: ۳۶

لا أن نردَّ کلّ تلک الروایات الواردة فی حقِّ بعضهم ممَّا ینافی روایات المدح.

الإشارة الثالثة: لو دار ثبوت العیب بین ثبوته للمعلِّم أو للتلامیذ أو للناقد لهم، فهنا نُعمِل القواعد العلمیَّة المستندة للعقل السلیم.

فنری أنَّ المعلِّم؛ فیما لو کان معصوماً وقد بذل جهده فی التعلیم والتربیة والتزکیة لهم؛ فهو خارج عن عنوان ثبوت العیب فیه.

وأمَّا التلامیذ: فهل تعلَّموا کلَّ ما علَّمهم؟ وهل وعوا وعملوا بکل ما تعلَّموا؟ أم تخلَّف العالم منهم عن العمل؟.

إنَّ هذا ما تهدینا إلیه بعض الآیات والروایات الواردة فی الصحاح، حیث تثبت عدم انصیاعهم لکل ما قاله معلِّمهم وقائدهم.

۱- فاقرأ معی هذه الآیة: یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا کَلِمَةَ الکُفْرِ وَکَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ یَنَالُوا (۱) ۴۸ فقد نزلت فی بعضهم یوم غدیر خمٍّ لما رأوا النبی صلی الله علیه و آله رافعاً بید علیّ قالوا: «انظروا إلی عینیه کأنَّهما عینا مجنون»، وقیل هو الجُلَاس بن عبید، أو سوید، ولکنَّه تاب بعد ذلک عمَّا قال (۲) ۴۹.

۱- التوبة: ۷۴

۲- سیأتی مصدرها لاحقاً

ص: ۳۷

۲- واقرأ معی أیضاً قوله تعالی: وَیَقُولُ الـذِّینَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَت سُورَةٌ مُحکَمَةٌ وَذُکِرَ فِیهَا القِتَالُ رَأَیْتَ الذِّینَ فِی قُلُوبِهِم مَرَضٌ یَنْظُرُونَ إِلَیکَ نَظَرَ المَغْشِیِّ عَلَیْهِ مِن المَوْتِ فَأَوْلَی لَهُم (۱) ۵۰ فالذین فی قلوبهم مرض هم من الذین آمنوا، ومن الصحابة، لأنَّ المفروض أنَّهم آمنوا وهم مع النبی صلی الله علیه و آله.

ثمَّ أَکْمِلْ تلاوة السورة معی، وَقِفْ عند قوله تعالی: أَمْ حَسِبَ الذِّینَ فِی قُلُوبِهِم مَرَضٌ أنْ لَنْ یُخرِجَ اللَّهُ أَضْـغَانَهُم* وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَیْنَکَهُم فَلَعَرَفْتَهُم بِسِیمهُم وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِی لَحْنِ القَوْلِ.. (۲) ۵۱.

واقرأ قوله تعـالی: مَـالَکُم إذَا قِیل لَکُم انفِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إلی الأَرْض (۳) ۵۲ فمن الذی تثاقل عن النفور للجهاد غیر الصـحابة من الکفَّار والمشرکین؟ هل هم المؤمنون أم غیرهم؟

۳- واقرأ معی قوله تعالی: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوَاً انْفَضُوا إلَیْهَا وَتَرَکُوک قَائِمَاً (۴) ۵۳ ففی البخاری (۵) ۵۴: أقبلت عیرٌ یوم

۱- محمد ۲۰

۲- محمد ۲۹. ۳۰

۳- التوبه ۳۸

۴- الجعه

۵- صحیح البخاری: ۴/ ۱۸۵۹ برقم ۴۶۱۶

ص: ۳۸

الجمعة ونحن مع النبی صلی اللّه علیه وسلم فثار الناس إلا اثنی عشر رجلًا فأنزل اللّه: وإذا رأوا تجارةً... (۱) ۵۵.

وأمّا فی الروایات: ففیها الکثیر ممّا یُثبت عدم انصیاعهم لأوامره صلی الله علیه و آله.

فمنها: ما ذکره البخاری فی صحیحه من أنّه لمّا تمّ صلح الحدیبیّة وهمّ الرسول بالإحلال بالهدیأمر أصحابه بالذبح؛ فلم یقم منهم أحدٌ؛ فأمرهم ثانیة وثالثة، فلم یستجیبوا، فدخل إلی خیمة أم سلمة، واشتکی إلیها أصحابه، فقالت له: لا علیک منهم اخرج واذبح الهدی، فلماخرج وذبح هدیه قاموا متثاقلین الواحد والإثنین» (۲) ۵۶.

بل فیها: «جاء عمر للنبیّ وقال له: أو لستَ نبیّ اللّه حقّاً؟! قال: بلی.

۱- وفی تفسیر الکشاف للزمخشری: ۴/ ۵۳۶- ۵۳۷: قیل: بقی معه ثمانیة، وأحدعشر، واثنا عشر، وأربعون، فقال علیه السلام: «والذی نفس محمد بیده لو خرجوا جمیعاً لأضرم الله علیهم الوادی ناراً»، وفی هامش التفسیر... وأصل هذه القصة فی الصحیحین من روایة حصین عن سالم.. وفی لفظ مسلم: «منهم أبوبکر وعمر» وفی روایة: «وأنا فیهم»، أقول: فهل یمکن بعد هذا أن نحکم علی کل الصحابة بأنّهم عدول ولا یمکن التعرض لهم بالنقد والتجریح وقد آذوا النبی وترکوه قائماً؟؟ والغریب من بعضهم تعلیله فعلهم بأنّ وقتئذٍ لم یکن الاستماع للخطبة واجباً، فاسمع واعجب!!

۲- صحیح البخاری: ۲/ ۹۷۸، صحیح مسلم: ۳/ ۱۴۱۱

ص: ۳۹

قال: أو لسنا على الحقّ، وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى.

قال: إذن؛ فلم نعطى الدنيَّة فى ديننا؟

قال: إنّى رسول‌اللَّه، ولستُ أعصيه وهوناصرى، أو قلتُ لك تحجّ البيتَ العامَ؟

قال: لا، فرجع ولقى أبابكر فقال له ما قال للنبىّ فأجابه بما أجابه، فرجع عنهما، وهو يقول: فعملتُ لذلك أعمالًا» (۱) ۵۷.

ومنها: فى حجَّة الوداع لمَّا أمرهم بالإحلال ثمَّ الإحرام للحجّ جاءه بعضهم، وقال: يارسول اللَّه ننطلق إلى منى ورؤوسنا تقطر..!؟» (۲) ۵۸.

ومنها: ما فى صحيح مسلم (۳) ۵۹ من ظهور ضيق صدور الصحابة من أوامر النبىّ صلى الله عليه و آله: أهللنا مع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم بالحجّ فلمّا قدمنا مكّة أمرنا أن نحلَّ ونجعلها عمرةً، فكبر ذلك علينا وضاقت به صدورنا....

۱- وفى المصدر هكذا: قال الزهرى: قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا

۲- صحيح البخارى: ۲/ ۵۹۴ رقم ۱۵۶۸

۳- صحيح مسلم: ۲/ ۸۸۴ برقم ۱۲۱۶، ونفس الحديث بلفظ البخارى: ۲/ ۵۹۴: ننطلق ورؤسنا تقطر، وبلفظ أحمد ۴/ ۲۸۶ و مسند أبى يعلى ۳/ ۲۳۳: فقال الناس: يارسول اللَّه قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة؟ قال: انظروا ما آمركم فافعلوا، فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان فرأت الغضب فى وجهه، فقالت: مَن أغضبكَ؟ أغضبه اللَّه، قال: وما لى لا أغضب وأنا آمر بالآمر فلا أتبع!!

ص: ۴۰

وفی لفظ الطبرانی فی المعجم الکبیر (۱) ۶۰: حتی إذا کان یوم التروية أمرنا فأهللنا بالحجّ، فقال بعضنا لبعض: خرجنا من أرضنا حتّی إذا لم یکن بیننا وبین منی إلّاأربع نخرج ومذاکیرنا تقطر منیّاً!؟.

فبلغ ذلک رسول اللّه فقال: أتتهمونی وأنا أمین أهل السماء وأهل الأرض!؟.

ومنها: اعتراضهم وطعنهم فی تأمیر النبیّ صلی الله علیه و آله أسامة بن زید علی الجیش، وفیه: فطعن بعض الناس فی إمرته، فقام رسول اللّه فقال: «إنّکم تطعنون فی إمرته کما کنتم تطعنون فی إمرة أبیه من قبل..» (۲) ۶۱ ومنها: ما صدر من عمر من منع النبیّ صلی الله علیه و آله وهو فی أیامه الأخیرة أن یکتب کتاباً للهدایة لایضلُّ الناس بعده أبداً، فقال عمر: إنَّ النبیّ قد غلبه الوجع وعندنا کتاب اللّه، فاختلفوا، وکثر اللغط، قال: «قوموا عنّی ولا ینبغی عندی التنازع..» (۳) ۶۲.

وهذا غیض من فیض، وإنَّما ذکرنا هذه الموارد دفعاً لتغریر الکاتب بعدم مخالفتهم لتعالیم النبیّ صلی الله علیه و آله کأستاذٍ لهم ومعلِّم.

وإلا، فهی واضحة للعیان ولا تحتاج إلی برهان، وقانا اللّه

۱- المعجم الکبیر للطبرانی: ۷/ ۱۲۷

۲- صحیح البخاری: ۶/ ۲۴۴۴، صحیح مسلم: ۴/ ۱۸۸۴

۳- صحیح البخاری: ۱/ ۵۴ برقم ۱۱۴

ص: ۴۱

سوء المنقلب.

وأما فى رجوع العيب للطاعن وأنَّه يرجع طعنه فيهم للطعن فى المعلِّم.

فهـذا كلام مرفوض جملـةً وتفصـيلًا، فإنَّ الناقـد البصـير؛ فيما لو اسـتند إلى مقـدمات علميَّة تامّـة واعتمد على أدلّة معتبرة عند الخصم، فنقـده يكون نقـداً قـد صـدر من أهله ووقع فى محلّه، ولا يلزم من ذلك رجوع الطعن للمعلِّم، وذلك لفرض التفكيك بين المعلِّم وما جهد من تعليمهم، وبين التلاميذ الذى لم يحسنوا الوفاء للمعلّم...!!

هذا مع اعتبار حسن الصحبة والاحترام والتقدير لمن وَفَى منهم، وثبت حسن صحبته له صلى الله عليه و آله حتى انتقل إلى جوار ربّه.

الإشارة الرابعة: تفاخره بما فعل من ادَّعى لهم حسن الصـحبة بأنَّهم ممَّن وقفوا معالرسول الأكرم فىحروبه حتى بلغت القلوب الحناجر، ولم يتخلّوا عنه، يلحظون مجالسه وأنفاسه نفساً بنفس، ويتدافعون على فاضل ماء وضوئه.. إلى آخر كلامه.

ولقـد قرب- هـذا الكاتب- من نقل الحقيقـة! فالحمـد للَّهعلى الصـحوة بعـد الغفوة، ولنسأل الكاتب: فى أيّـة معركـة هجم الكفارُ على المسـلمين فثبتوا غير جماعـة مخصوصـة؟ أفى بـدر لمَّا حملوا على النبىّ حينهـا نادى رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله بعلى عليه السـلام ليدفع المقاتِلَةَ من الكفار عنه؟ أم فى غيرها؟ فارجع للنصوص تجد أنَّها تبين لك الواقع.

ص: ۴۲

وهل سمعت فی معرکة من معارک النبیّ بشجاعة أو بسالة من غیر أفراد منهم؟ وهل کانوا کلهم معروفین بالمبارزة والقتال؟؟

وهاک مثلًا من معرکة أُحُد: لمَّا نزل الرماة عن جبل أُحُد ظنّاً بالنصر، وانتهاء المعرکة، ومسارعة للغنائم، فَکَرَّ علیهم الکفّار، وفرَّ المسلمون، فمن بقی مع النبیّ یقیه بنفسه وبسیفه؟؟

وأینک عن غزوة حنین التی تحدّث عنها القرآن إذ أعجبتهم کثرتهم، ولمَّا باغتهم المشرکون فرُّوا جمیعاً، والعبّاس ینادی خلفهم: «یاأهل بیعة الشجرة، یا أهل سورة البقرة»!!.

وهکذا فی غزوة الأحزاب: من الذی برز لمقابلة عمرو بن عبد ودّ؛ ذاک البطل الذی کان یعدّ بألف فارس؟

لولا برز له أمیر المؤمنین علیه السلام وتنازلا القتال، وما انجلت الغبرة إلا وعلی علیه السلام قد رقی صدر عمرو واحتزّ رأسه، فکبّر المسلمون وانهزم المشرکون (۱) ۶۳.

ولقد قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله یومذاک: «إنَّ ضربة علیّ لعمرو أفضل من عمل الثقلین أو- عبادة الثقلین-» (۲) ۶۴.

۱- سیأتی ذکر مصادرها حین الکلام فی غزواته صلی الله علیه و آله

۲- المستدرک للحاکم: ۳/ ۳۲، تاریخ بغداد: ۳/ ۱۹، مناقب أخطب خوارزم: ۱۰۴، المغازی للواقدی: ۲/ ۴۷۰- ۴۷۱، نهایة العقول للرازی: ۱۰۴، ومصادر أخری کثیرة، بل کل من تعرض للمعرکة ذکر هذا إلا من أعمی الله بصیرته فلم یبصر الطریق إلی علی علیه السلام

ص: ۴۳

وكـذا فى خيبر؛ فقـد خرج أولًا أبوبكر ولكنَّه سـرعان ما رجع يُجبِّن أصـحابه، ثمَّ أعقبه عمر بن الخطاب ولم يزد على نظيره بأن رجع يُجَبِّن أصحابه وأصحابه يُجبِّنُونه، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«لأعطينَّ الراية غداً رجلًا يحبّ اللَّه ورسوله ويحبه اللَّه ورسوله كرَّاراً غير فرَّار» (۱) ۶۵.

ولاـ يخفى مـا فى تلـك الكلمـات من تعريض بمن عـداه ممَّن فرَّ أو هو كثير الفرار عن الأبطال (۲) ۶۶ وكـان ما أراد اللَّه ورسوله من الفتح المبين لهم على يدى أميرالمؤمنين عليه السلام.

وأمَّا مداومتهم على مجالس الرسول صلى الله عليه و آله وكثرة محادثته:

فهـذا ليس لكلِّهم وجميعهم، وإلّـا فهو ممَّا يكـذّبه التاريـخ وتكـذّبه الكثير من أحوالهم، ففيهم مَن كـان لا يفارق المسـجد لأجل لقمة طعام لعلَّها تصل بيد الرسول صلى الله عليه و آله فيلقمها إيّاه (۳) ۶۷.

۱- مسند أحمد: ۱/ ۱۵۸، ۲۸۴، ۳۵۸، صحيح البخارى: ۶/ ۲۹۱، صحيح مسلم: ۲/ ۳۲۴ مع اختلاف بينها فى الألفاظ

۲- بل إنَّ نفس ذكر هذه الصـفات لشـخص فى مثل المقام يسـتفاد منه عدم اتصاف غير من ذكرت له بها كما هو واضح، إلا أن تقوم قرينة على خلاف ذلك، كالقرينة الموجودة على أنَّ النبى لابدَّ أن يكون أشجع الناس

۳- كمـا ذكر ذلـك الصـحابى الكبير عنـدهم أبو هريرة؛ كمـا فى صـحيح البخارى: كتاب العلم رقم ۱۱۵- كتـاب البيوع رقم ۱۹۰۶- كتاب المزارعة رقم ۲۱۷۹- كتاب الاعتصام رقم ۶۸۰۷، وفى مسلم؛ كتاب فضائل الصحابة: ۴۵۴۷

ص: ۴۴

ومنهم من شغله الصفق فی الأسواق (۱) ۶۸، وقد وردت إلی ذلک الإشارة فی الآیة القرآنیّة: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوَاً انفَضُّوا إِلَیْهَا وَتَرَکُوکَ قَائِمَاً (۲) ۶۹.

وأمّا ما ذکره من أنّه صلی الله علیه و آله لم یألُ جهداً فی تعلیمهم کلّ خیرٍ ونصحهم فی الابتعاد عن کلّ شرٍّ وتحذیرهم من سوء عاقبته.

فهذا أمر مسلَّمٌ، ولکنَّ السؤال هو: هل أنَّهم کلَّهم اتبعوا نصیحته صلی الله علیه و آله أم لا؟ وهل حذروا مما حذَّرهم منه، أم لا؟

الشواهد والدلائل تقول: «لا، لا»، سوی البعض! وعلی المدّعی خلاف ذلک أن یأتی بالبیّنة علی ذلک.

وأمّا الاستدلال لإثبات ذلک بنفس صدور النصح والتحذیر من النبیّ!

فهذا ضحک علی الذقون لایرتضیه ذو مسکة من عقل سلیم.

الإشارة الخامسة: وأمّا ما استشهد به من مقاتلَة أمیر المؤمنین الذین انحرفوا عنه وحاربوه فهو لا یخلو من أحد أمرین:

فإمّا أن یکون کلامه هذا علی وزان کلامه فی صحابة النبی صلی الله علیه و آله مع النبی صلی الله علیه و آله، والکلام فیه هو الکلام، لضرورة التفکیک بین

۱- وقد ورد بألفاظ متقاربة وأکثرها هکذا: إنَّ أخوتی من المهاجرین کان یشغلهم الصفق بالأسواق وإنَّ إخوتی من الأنصار کان یشغلهم عمل أموالهم» صحیحا البخاری ومسلم: الموارد السابقة

۲- الجمعة: ۱۱

ص: ۴۵

المربی والمعلّم وبین التلامیذ، فهو توسیع لدائرة الإشکال لا حلٌّ له.

وإمَّا أن یکون کلامه فیه أجنبیاً، ونلتزم معه بعدم تحقق بیعة منهم له، ولذا بیَّن صلوات اللَّه علیه فی بعض کلماته حقیقة بیعة بعضهم أعنی أول من بایع وهم- الزبیر وطلحة- بل بیَّنها لهم مباشرة، وأخبرهم أنَّهم أول من ینقض تلک البیعة.

وأمَّا خروج مَنْ خرج علیه، فقد جرَّأهم علی ذلک أمثال عمرو بن العاص، ومروان طرید رسول اللَّه هو ووالده الحکم، ومعاویة بن أبی سفیان لمَّا أن امتنع عن تسلیم الأمر لأمیر المؤمنین علیه السلام.

وأنتم تعترفون فی أمَّهات کتبکم بأنَّهم بغاةٌ علی الإمام، والباغی علی إمام زمانه کافر، هذا بحکمکم أنتم، کما صرَّح به علماؤکم (۱) ۷۰ وغیره، و أبوموسی الأشعری والذی قَبِل أن یحکم

۱- لکنَّ ابن تیمیَّة یأبی عن الحکم بکفر معاویة، فیقول: خرج علی إمام زمانه فهو باغٍ، ولکنَّه مجتهد مخطیء فله أجر واحد، فالباغی لیس بکافر!!

سبحان اللَّه وهل المخطیء بالخروج علی إمام زمانه کالمخطیء بفعل أمر صغیر جزئی؟! فما لکم کیف تحکمون؟

وفی الواقع إنَّ هذا التبریر منه لیس لمعاویة فقط، بل لمن خرج یوم الجمل أیضاً، کی لا یحکم بکفرهم کذلک!!

ص: ۴۶

علی إمامه، بل سوَّل له شیطانه أن یتصور تمکنه من خلع الإمامة التی کانت ثابتةً لأمیر المؤمنین علیه السلام فخلعها غافلًا أو عامداً متجرأً، فتمَّت الخدعة والمکیدة علی خلع علی علیه السلام.

وما علموا أنَّها إمامة إلهیَّة لا یمکن خلعها من قبل أنفسهم، وما کان خواصُّ علیّ إلا قلَّة قلیلة، ولذا قال فی أکثر من مقام: «ما ترک لی الحقّ من صدیق».

وقبل کلّ ذلک: إنَّ بیعة أمیر المؤمنین علیه السلام کانت من اللَّه عزَّ وجلَّ ومن رسوله صلی الله علیه و آله ولم تکن منعقدة من الناس، بل الجلُّ منهم إن لم یکن الکلّ قد بایعوه فی الغدیر حتی قام الخلیفة الثانی مُسَلِّماً علیه بأمر النبی صلی الله علیه و آله وهو یقول له: «بخٍ بخٍ لک یابن أبی طالب أصبحت مولای ومولی کل مؤمن ومؤمنة» (۱) ۷۱.

فالعجب کیف صحَّت لهم بیعة مَن تقدم علیه مع اشتغال ذمتهم وصفق أیدیهم ببیعتهم لعلی علیه السلام قبل ذلک، وها أنتم تروون: «إذا بویع لخلیفتین فاقتلوا الثانی منهما» (۲) ۷۲ فحَقَّ القتلُ علی کلّ من تقدّم علی أمیر المؤمنین علیه السلام بالبیعة لنفسه.

إلا أن تردُّوا هذه الروایة وأمثالها، وهذا ما لا نرتضیه لکم من

۱- شواهد التنزیل للحاکم الحسکانی: ۱/ ۲۰۰، تاریخ الیعقوبی: ۲/ ۴۲، مسند أحمد: ۴/ ۲۸۱، الریاض النضرة: ۲/ ۱۶۹، سرُّ العالمین للغزالی: ص ۲۱

۲- صحیح مسلم: ۳/ ۱۴۸۰ ج ۱۸۵۳، المستدرک: ۲/ ۱۶۹ ح ۲۶۶۶

ص: ۴۷

ردّها أو استحقاق القتل لهم، کما لا ترتضونه أنتم.

النقطة الرابعة: الطعن فی الصحابة.

لقد حرص المدّعون بأنَّهم أهل السنَّة علی الالتزام بعدالة الصحابة جمیعاً، ولم یُعلَم لهم وجه عقلی (۱) ۷۳ أو نقلی أو عقلائی

۱- نعم قد ذکر هذا الکاتب وجهاً یصلح لأن یکون وجهاً عقلیًا، وإن کان مسبوقاً به من قبل شارح المواقف؛ وهو أنَّه یلزم من الطعن فی الصحابة عدم الاحتجاج بالسنَّة لأنَّهم هم الذین یروونها.

ولا یخفی علی المتأمل أنَّ هذا الإشکال محض توهم فاسد، وذلک أنَّ هذا یتم فیما لو انحصر نقل الحدیث والسنَّة من خصوص المطعون فیهم من الصحابة.

وأمَّا مع عدم انحصاره فیهم فلا موجب ولا ملزم لما ذکروا من اللازم، فإنَّ من الصحابة الرواة للحدیث والناقلین للسنة النبویّة الکثیر الکثیر ممَّن لا طریق للطعن علیهم بوجه، وسیأتی منَّا ذکر بعضهم.

ثمَّ إنَّ الفحص والبحث عن الصحابی المستقیم الطریقة وتمییزه عن الصحابی الذی بدَّل وعطَّل وحرَّف، هل یوجب ترک السنَّة أو عدم روایتها أو تعطیل الدین کما یدعیه هذا الکاتب؟ کیف؟ والعترة الهادیة عِدْلُ الکتاب، وهم أهل البیت الذین نصَّ النبی صلی الله علیه و آله فی مواطن عدَّة علی أنَّهم بهم الهدایة، وأنَّ اللازم لهم لاحقٌ والمقصِّر فی حقهم زاهقٌ والمتقدم علیهم مارق، فهم قد رووا عن جدِّهم الرسول صلی الله علیه و آله کلّ ما یلزم الدین من أصول وفروع، ومعهم ثلَّة کبیرة من الصحابة الأبرار رووا ما فیه الکفایة عن روایة غیرهم من المنافقین والمتَّهمین والمعتدین؟ فلماذا لا یؤبه بروایات هؤلاء، ویخصّ الدین بما یرویه أولئک أمثال المغیرة بن شعبة ومروان ومعاویة وبسر بن أرطأة ومسلم بن عقبة و.. و

ص: ۴۸

یوجب ذلک، بل حتی الصحابة أنفسهم لم یکن عملهم کذلک (۱) ۷۴.

إذ أنَّ کلّ ما ورد من آیات أو روایات هو لمدح بعض الصحابة، وعلی فعل خاص لا مطلقاً، هذا مع تسلیم إرادة المدح منها، وإلا فالبعض منها إخبار عن واقعة خاصة وقعت والحکم المتعلق بها.

وأهمّ دلیل ذکره هذا الکاتب من العقل علی ذلک: هو لزوم فتح باب الطعن علی غیر الصحابة من باب أولی، فما الفرق بین الصحابة وغیرهم ما لم تثبت لهم العصمة؟

ومَن هو هذا الغیر الذی تقصده؟ وتخاف أن یَطَّلِع علی الطعن علیه أعداء الإسلام؟

ثمَّ ما هو الدلیل علی المنع عن الطعن فی مَن ثبت فیه ذلک، فی ما لو کانت مصلحة الإسلام والحفاظ علی السنَّة النبویَّة تقتضی الطعن والدفاع عن الحقّ؟

وإلا، فامنع علماءکم عن البحث فی علم الرجال، وهو علم أو فنّ له موازینه الخاصة، ولکنَّ لبّه وواقعه الجرح والتعدیل.

۱- بل ورد العکس من ذلک عن النبی حیث إنَّ البخاری روی عن حذیفة: «.. اثنا عشر رجلًا من أصحابی لا یدخلون الجنَّة حتی یدخل الجمل فی سم الخیاط» صحیح مسلم: ۴/ ۲۱۴۳ کتاب صفات المنافقین، وفی روایة أخری: فی أصحابی اثنا عشر منافقاً ثمانیة منهم لا یدخلون الجنَّة ...» صحیح مسلم: ۸/ ۱۲۲، السنن الکبری للبیهقی: ۸/ ۱۹۸، مسند أحمد: ۵/ ۳۹۰

ص: ۴۹

وهل التجريح إلا أن تقول: فلان مطعون فيه، وفلان كذاب، وفلان مدلس (۱) ۷۵ وفلان كان يشرب الخمر، و.. و...

ولو كان هذا العلم مجرد تعديل فقط لم يصح تسميته علماً (۲) ۷۶.

وعلى هذا فالصحابة كغيرهم من الناس الذين يمكن أن توضع أسماؤهم وأفعالهم على مائدة التشريح فيُرَى: هل كان ثقة متقياً مطيعاً للّه ولرسوله، أم لا؟

والصحبة- لو قلنا بنفعها- لما تعدّى ذلك شرف اللقاء بالرسول الأكرم، ولكنَّ الأمر من زاوية أخرى هو عليهم أشدّ، لأنَّ من رأى النبى وسمع أوامره ونواهيه ولم يمتثلها كانت عقوبته أشدّ ممَّن لم يره و لم يسمع منه وإنَّما سمع من الرواة والأخبار ذلك،

۱- وقد كتب ابن حجر العسقلانى كتاباً أسماه «طبقات المدلسين» وجعل فيه مثل أبى هريرة من المدلسين الكبار، وكذا البخارى و.. و. فما تقول فى مثل ابن حجر: هل أنَّ كتاباته كلها أساطير!!؟ وكتب الحميدى كتابه «الضعفاء والمتروكين» وأُلِّفت الكتب فى سرد الأحاديث الضعيفة ك «الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة» و «اللآلىء المصنوعة» وغيرها.

بل لو لم يكن عندنا إلا قول النبى صلى الله عليه و آله: «من كذب علىَّ متعمداً...» لكفى فى التشكيك فى مرويات بعض من ادعيت له الصحبة، ولم يكن قد حفظ صحبة النبى فيه، كما أنَّه ينبغى التنبيه على أنَّ ذلك لا ينافى حفظ مقام الصحبة لمن وفى بها وأدى حقها كما أراده اللّه منه ورسوله

۲- ضرورة اشتمال العلم على جهتى الوجدان والفقدان، أو جهتى النفى والإثبات

ص: ۵۰

وهذا مقتضی اختلاف الرتبة بین الصحابی وغیره.

ویکفینا فی إمکان تطرُّق الطعن لبعض من ادُّعیت له الصحبة ما ذکره البخاری فی صحیحه من حدیث الحوض: «یقدم علیَّ جماعةٌ من أصحابی یوم القیامة- وأنا علی الحوض- فلمَّا قربوا منی حیل بینی وبینهم؛ فأقول: یاربِّ أصیحابی أصیحابی؟ فیأتی النداء: إنَّک لا تدری ما أحدثوا بعدک» (۱) ۷۷ وفی نص آخر: «فیحلؤون دونی فأقول: یاربِّ أصحابی؟

فینادینی مَلَکٌ: إنَّک لا تدری ما أحدثوا بعدک؟ لقد رجعوا القهقری..» (۲) ۷۸.

فهذا الکلام من لسان الرسول یوجب تحقق معرضیَّة الصحابة للطعن، خاصة من رجع منهم القهقری بعد وفاته صلی الله علیه و آله.

وأعظمها هذه الروایة، وهی فی ما بعد معرکة أحد، فقد روی الإمام مالک أنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد علیهم، فقال أبوبکرالصدیق: ألسنا یارسول اللَّه إخوانهم؟

أسلمنا کما أسلموا وجاهدنا کما جاهدوا!؟.

فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: بلی، ولکن لا أدری ما تُحدثون بعدی؟!!

۱- صحیح البخاری: ۸/ ۱۴۸- ۱۴۹، مسند أحمد: ۵/ ۳۸۸

۲- صحیح البخاری: ۸/ ۱۵۰- ۱۵۱، الجمع بین الصحیحین: رقم ۲۶۷

ص: ۵۱

فبکی أبوبکر ثمَّ بکی، ثمَّ قال: أئِنَّا لکائنون بعدک؟» (۱) ۷۹.

وهاک بعض أسماء الصحابة الذین ثبت أنَّهم لم یحسنوا الصحبة بدلالة کلام الرسول فی حقهم أو مخالفتهم الظاهرة لأوامره صلی الله علیه و آله ولو بعد وفاته صلی الله علیه و آله:

۱- الجد بن قیس الأنصاری، الذی قال النبی فی حقّه: «کلکم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر» (۲) ۸۰.

۲- الحرقوص بن زهیر السعدی، ممَّن شهد بیعة الرضوان ثمَّ صار رأس الخوارج، وهو الذی قال للنبی صلی الله علیه و آله: اعدلْ، یا محمّد (۳) ۸۱.

۳- محلم بن جثامة، قال فیه النبی صلی الله علیه و آله: «اللهم لاتغفر لمحلم بن جثامة».

لأنَّه قتل صحابیاً متعمداً (۴) ۸۲ فهو الذی قتل عامر بن الأضبط، ولمَّا مات محلم لفظته الأرض ثلاثاً، فجُعِل علی سفح جبل ورُجِم بالحجارة، فلما أُخبِر النبی صلی الله علیه و آله بذلک قال: هی دعائی علیه.

۴- عبد اللَّه بن خطل، کان صحابیاً ثمَّ ارتدّ، ولحق بمکَّة، وقتل

۱- الموطأ لمالک بن أنس: ۱/ ۳۰۷ ومغازی الواقدی ص ۳۱۰

۲- صحیح مسلم: ۸/ ۱۲۳

۳- فتح الباری: ۸/ ۶۹، الإصابة: ۲/ ۴۹ برقم ۱۶۶۳، وقیل بأنَّه ذو الخویصرة

۴- الطبقات: ۲/ ۱۳۳، ۴/ ۲۸۲، الإصابة: ۵/ ۷۸۵

ص: ۵۲

یوم فتحها (۱) ۸۳ وهو ممَّن أمر النبیّ صلی الله علیه و آله بقتله.

۵- المغیرة بن شعبة، وحاله أوضح من أن یوضّح.

۶- سمرة بن جندب، أساء السیرة بعد النبیّ، وکان یبیع الخمر ویقتل الأبریاء، هو الذی وضع بعض الأحادیث فی ذمّ علیّ طلباً لرضا معاویة و.. و...

۷- عبدالرحمن بن‌عمر بن‌الخطاب، شرب الخمر أکثر من مرَّة فقتله أبوه حدَّاً وتعزیراً بعد أن حدَّه عمرو بن العاص فی مصر (۲) ۸۴.

والروایات فی هذا مختلفة، فقیل بأنَّ کلا ولدیه قد حُدَّا؛ أحدهما حدّه للزنا والآخر حدَّه لشرب الخمر، أی عبد الرحمن المکنّی بأبی شحمة، وعبید اللَّه، وإن کانت بعض الروایات تفید اتحادهما، وأنَّ الحدّ لیس إلا واحداً.

۸- الولید بن عقبة: الفاسق بنصّ آیة النبأ: إنْ جَاءَکُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَیَّنُوا.

وغیرهم من الصحابة الذین خانوا الصحبة وتنکّروا لها بعد النبیّ صلی الله علیه و آله أو فی حیاته.

۹- قدامة بن مظعون: وقد شرب الخمر فی زمان عمر وجلده،

۱- التمهید لابن عبد البر: ۶/ ۱۷۵- ۱۷۶، الأحادیث المختارة: ۳/ ۲۵۰

۲- السنن الکبری للبیهقی: ۸/ ۳۱۲، سیرة عمر بن الخطاب لابن الجوزی: ص ۱۷۰ وفی ط: ص ۲۰۷، إرشاد الساری: ۹/ ۴۳۹، شرح النهج: ۳/ ۱۲۳ ط مصر

ص: ۵۳

فغاضبه ثمَّ کلمه واستغفر له (۱) ۸۵ بل قال أبو أیّوب: لم یُحدَّ أحدٌ من أهل بدر فی الخمر إلا قدامة ابن مظعون (۲) ۸۶.

ولکنَّ العجب لا ینقضی من مثل الحاکم فی المستدرک (۳) ۸۷ حیث جعل من مناقب قدامة هذا أن نصَّبه الخلیفة عمر بن الخطاب والیاً من قِبَلِه علی البحرین (۴) ۸۸ وقد نسی الحاکم أن یعدّ من مناقبه شربه للخمر فیها، فلم یذکره فی ترجمته!!

۱۰- أبو محجن الثقفی: ممَّن شرب الخمر مراراً، بل لم یکن ینفکّ عن ذلک حتی نفاه عمر إلی جزیرة، وجعل علیه رجلًا حارساً ففرَّ منه، وخرج إلی سعد حیث کان زمن معرکة القادسیَّة، وذکر ابن عبد البرّ أنَّه کان منهمکاً فی الشراب لایکاد یقلع عنه، ولایردعه رادع ولا لوم لائم (۵) ۸۹ وذکر عن قبیصة بن

معجم البلدان: ۲/ ۲۶۳

۱- الإصابة: ۵/ ۴۲۴- ۴۲۵، الاستیعاب لابن عبد البر.: ۳/ ۲۴۸، السنن الکبری: ۳/ ۲۵۳، ۸/ ۳۱۵، المصنف لعبد الرزاق: ۹/ ۲۴۱

۲- الموضع السابق من الإصابة والاستیعاب والمصنف

۳- المستدرک: ۳/ ۴۲۶

۴- ولا یخفی أنَّ حکمة التنصیب هو أنَّه خال حفصة بنت الخلیفة، وخال أخیها عبداللَّه بن عمر، کما أنَّه زوج أخت الخلیفة، فلاحظ فی نسبه المعجم الکبیر للطبرانی

۵- الاستیعاب: ۴/ ۱۸۲، بل هو القائل شعراً:

إذا متُ فادفنّی إلی جنب کرمةٍتروِّی عظامی بعد موتی عروقها

ولاتدفننی بالفلاة فإنَّنی أخاف إذا ما متُّ أن لا أذوقها

ص: ۵۴

ذؤيب أنَّ عمر جلده فى الخمر: ثمان مرّات (۱) ۹۰ وفى رواية أخرى: أربع مرَّات (۲) ۹۱ وفى أخرى: سبع (۳) ۹۲.

تلك عشرة كاملة، وإن كان فى زوايا الكتب والروايات الكثير منها.

وأمَّا الآيات التى ادّعى الكاتب أنَّها نزلت فى فضلهم، فليدلنا عليها!!

إذ ليس إلا آية بيعة الرضوان تحت الشجرة، وهذه- كما يقول العلماء-: قضية خارجيَّة مختصّة بجماعة خاصَّة، وهم خصوص مَن بايع تحت الشجرة، فلا تشمل غيرهم.

مع أنَّ آخرها يصرِّح بالتهديد لمن كفر بعد ذلك.

وفى آية أخرى يصرّح بسوء العاقبة لمن نكث بعد ذلك.

وفى ذلك كلّه إشعار بتوقّع النكث والكفر من بعضهم بعد ذلك.

بل التصريح بوقوعه متحقّقٌ بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله من قوله تعالى:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَت مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً (۴) ۹۳.

۱- الاستيعاب: ۴/ ۱۸۳، المصنف: ۷/ ۳۸۱ باب حد الخمر، ۹/ ۲۴۷

۲- فتح البارى: ۱۲/ ۸۱

۳- المصنف لعبد الرزاق: ۹/ ۲۴۷

۴- آل عمران: ۱۴۴

ص: ۵۵

فإن منعت دلالة هذه الآيات والروايات على مدّعانا، فالمنع عن مدّعاك ممَّا ذكرتَ من آيات وروايات أولى وأولى.

وكـذا آيـة الوعد: وَعَدَ اللَّهُ الذِّينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الأَرْضِ كَمَا استَخْلَفَ الذِّينَ مِن قَبْلِهِم وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُم دِينَه الذِّى ارتَضَى لَهُم وَلَيُبْدِلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَنْ كَفَر بَعْدَ ذلِكَ فَأُولَئِكَ هُم الفَاسِقُون (۱) ۹۴.

وهذه الآية ظاهرة فى الوعد من اللَّه للمؤمنين به حقاً بأن يجعلهم المستخلفين فى الأرض وأن يعطيهم الأمان بشرط أن يتوجّهوا بالعبادة إلى اللَّه وأن لايشـركوا به شـيئاً؛ وإلّا فمن يكفر به فهو فى عداد الفاسـقين المساوين للكفَّار فى العقاب، على ما يستفاد من آيات أخر، بل لا يبعد مساواة الفسق للكفر فى نفسه كما يمكن استظهاره من بعض الآيات، وللعلماء وأهل التفسير فى هذه الآية آراء متعدّدة:

فقد قال الفخر الرازى- تبعاً للزمخشرى- فى تفسيره (۲) ۹۵ بأنَّها دالّة على صحّة خلافة الخلفاء الأربعة فإنَّهم هم الذى آمنوا ولم

۱- النور: ۵۵

۲- الكشاف: ۳/ ۲۵۲

ص: ۵۶

يبدّلوا ولم يغيّروا.

ووافقه البيضاوى، فقد تحقّق مصداقه المنحصر فيهم، وقالوا:

ما اجتمع الموعود والموعود به إلّالهم.

وقال آخرون: هى دالَّة على الاستخلاف للمسلمين جميعاً بعد نصرهم على الكفار فى الجزيرة، أو بعد فتح مكَّة، فهى مساوقة ومرادفة لقوله تعالى: اليَوْمَ يَئِسَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُم فَلَا تَخْشَوهُم وَاخْشَونِ.. (۱) ۹۶.

ولقوله تعالى: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِى... (۲) ۹۷.

وقالت طائفة ثالثة بأنَّ الموعودين بهذا هم الأئمة عليهم السلام وأنَّ موعدهم معلوم عند اللَّه مخفىّ علينا، وهو المروىّ عن أئمتنا عليهم السلام، والذى ذكره الشيخ الطبرسى فى مجمع البيان.

وعلى هذه التفاسير المختلفة لا تتمّ دعواهم على إرادة الخلفاء الأربعة، أضف إلى ذلك عدم دعواهم النصّ على استخلافهم وخلافتهم، بل هم بين من ادّعى نصبه بالشورى (۳) ۹۸ وبين من نصب بالتعيين من سابقه (۴) ۹۹ وبين من جعلها شورى بين

۱- المائدة: ۳

۲- المائدة: ۳

۳- كدعواه نصب الخليفة الأوّل

۴- كتنصيب أبى بكر للخليفة الثانى حيث إنَّه قد نصَّ عليه، وقد سبق من أمير المؤمنين ذلك له فقال للثانى: «احلب حلباً لك شطره... فلشدَّما تشطرا ضرعيها..»

ص: ۵۷

ستّة (۱) ۱۰۰ وأمر بحبسهم فی دار إلی ثلاثة أیّام، جاعلًا الأمر بید عبدالرحمن بن عوف.

ولمَّا عوتب الخلیفة الثانی علی ذلک قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خیر منّی- یعنی أبا بکر- وإن أترک فقد ترک من هو خیر منّی- یعنی رسول اللّه بدعواه أنَّه لم یستخلف-.

واعتقدوا أنَّ فی ذلک فضیلة له من التوجّه للتخییر بین الأمرین.

ولکنَّ الحقّ المبین هو أنَّه بلا دلیل ولا مرشد، ولیست إلّا السیاسة المدبَّرة والمبیَّتة منه لمن یلیه، وأیّة شوری تلک التی یحبس فیها المرشَّحُون وهم المرشِّحُون أنفسهم؟ وهل فیهم خیر أن لو انتخبوا مَن لم یرتضه عبد الرحمن أن یضرب عنق الممتنع؟

وبأیّ وجه شرعیّ یقتل؟ فهو إمَّا خلیفة للمسلمین، وإمَّا مقتول، وإمَّا موافق للآخر، ولو کان ذا باطل؟

وأمَّا بقیَّة الآیات: ففیها أمرٌ لهم باتباع النبی صلی الله علیه و آله واستماع أوامره وعدم التقدّم علیه، وإعزازه والرجوع له فی الحکم فی ما لو شجر بینهم نزاع أو خصومة، وأمثال هذه الموارد.

ولیس فیها من مدح لهم تلمیحاً فضلًا عن التصریح به.

۱- کما صنع ذلک الخلیفة الثانی فی شوراه المشهورة

ص: ۵۸

ولعلَّ أعمَّ ما یتصور دلالته علی دعوی تلک المنزلة لهم هی من قِبَل قوله تعالی: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِینَ مَعَهُ... (۱) ۱۰۱ فتستفید ذلک من المعیَّة الموجودة فیها، فنسأل: أیّة معیَّة هی المقصودة فی الآیة؟ لا شکَّ أنَّ المعیَّة البدنیَّة لیست ذات أثر حتی تقصد، فکم من رجل بدنه معک وقلبه علیک، إذن فالمقصود منها المعیَّة القلبیَّة والعقلیَّة، ولذا لم یکتف القرآن بهذا المعنی من المعیَّة بل صرَّح بما ذکرنا فی آخر الآیة فقال: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَ أَجْرَاً عَظِیمَاً (۲) ۱۰۲.

ولا یخفی الوجه فی ذکر کلمة منهم فإنَّه علاوة علی عدم إرادة المعیَّة الجسدیَّة- وهی عمدة أدلتکم فی تحقیق الصحبة بالرؤیة البصریَّة- قد نصَّ علی خصوص المؤمنین منهم والذین یعملون الصالحات منهم، لا مطلق من کان معه، وهل یحتاج عاقل لأکثر من هذا البیان لفهم التخصیص منها!!؟.

وأمَّا الروایات التی یدّعی صدورها فی مدحهم؛ فلا تزید علی عدد الأصابع- هذا إذا صحَّ صدورها- حیث قد ناقش فی سندها

۱- الفتح: ۲۹

۲- الفتح: ۲۹

ص: ۵۹

الکثیر من أعلامکم (۱) ۱۰۳.

وبعد کلِّ هذا؛ فمن الواضح أنَّ الفتوحات المنتسبة إلیهم یحتاج الأمر فیها إلی إثبات عدالتهم قبلها وبعدها، إذ لیس من شرائط

۱- فارجع لکتاب: الفوائد المجموعة فی الأحادیث الموضوعة للشوکانی فی مناقشته للأحادیث التی رویت فی مدحهم، وکذا لکتاب إحقاق الحق للسید المرعشی، ولکتاب اللآلیء المصنوعة للسیوطی، وأمَّا حدیث العشرة المبشرة بالجنَّة فهو مما نقطع بأنَّه موضوع علی لسان النبی للمناقشة فی سنده ومتنه، ولمخالفته لضرورة العقل والنقل، إذ کیف یسوغ من الحکیم أن یعطی الأمان لهم مع علمه بأنَّ منهم من لم یدخل الإیمان قلبه قط؟ ومنهم من سیرتکب ما یخالف أوامره عزَّ وجلَّ فی مستقبل عمره؟ بل منهم من ارتکب الذنب غیر المغفور عندهم وهو الاشتراک فی قتل خلیفة المسلمین: عثمان؟ بل إنَّ ما بینهم من الحرب والکلمات یکشف کشفاً قطعیاً عن وضع هذا الحدیث!. ولنا فی هذا الحدیث بحث مستقل نسأل اللَّه التوفیق لطباعته.

وأمَّا حدیث: «أصحابی کالنجوم..» فقد طعن فیه شیخهم ومن إلیه یرجعون وهو ابن تیمیَّة فقد ذکر الشیخ محمود أبو ریة أنَّه بعد طبع کتابه أضواء علی السنَّة المحمدیَّة لقیه محب الدین الخطیب فلامه علی ما کتب، وقد کان بمرأی من حدیث: «أصحابی کالنجوم» فأجابه الشیخ بأنَّ هذا الحدیث ضعیف، وقد ضعَّفه علماؤکم، فقال: مَن؟

قال: أنت؛ فی تعلیقک علی کتاب المنتقی للذهبی! فاشتدّ غضبه، وقال: فی أی صفحة من کتابی؟ قال: ص ۵۵۱، وفیها: یقول ابن تیمیَّة: «وحدیث أصحابی کالنجوم ضعَّفه أئمة الحدیث فلا حجَّة فیه» فبهت الخطیب.

عن کتاب المنتقی من آراء علماء المسلمین ص ۴۲ للسیّد مرتضی الرضوی

ص: ۶۰

الفاتح لبلدٍ أن يكون عدلًا متقيًّا، إذ قد روى: أنَّ اللّه ينصر هذا الدين ولو بالرجل الفاسق أو الكافر (۱) ۱۰۴؟!

وما ذكره من سلسلة اللوازم على الطعن فى الصحابة؛ من لزوم الجرأة على القرآن والطعن فيه أو لزوم الطعن فى السنَّة لأنَّ ذلك طعن فى حَمَلَتِها، وتشويه أمجاد الإسلام وحضارته.

فكلّ تلك لوازم فاسدة، بل هى غير لازمة للكشف عن فساد بعضهم، أو كذب دعواه الصحبة له، أو دعواهم الصحبة له صلى الله عليه و آله قط.

فإنَّ صدور طعن فى بعض الصحابة ليس مانعاً عن الرواية عن الصحابة الآخرين الذين لم يرد فيهم طعن، والفرض عدم توقف الوثوق بالسنَّة أو وصول القرآن وتواتره على أولئك الأشخاص المطعون فيهم.

والخلاصة:

أنَّ الذى يبدو لنا أنَّ هذا الكاتب ليس له غرض أساسى فى توثيق وتعديل كل الصحابة، ولكنَّه لمَّا لم يجد طريقاً أو وجهاً يستطيع به توثيق الشيخين وبعض من تابعهم ومالأهم، اضطرَّ للقول بعدالة كل الصحابة، فوقع فى مشكلة أكبر منها.

فارجع أخى القارىء إلى رشدك وابحث عن الحقيقة، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، وستسأل فى قبرك ويوم القيامة عن معتقداتك، بل ستسأل حتى عن الأشخاص

۱- صحيح مسلم: ۱/ ۱۰۵

ص: ۶۱

الماضين والمعاصرين لك، إذا كان توليهم ديناً يدان به، فهيء جواباً يصنع لك طريقاً من قبرك للجنَّة، فإنَّك ستكون وحدك فى قبرك، ولن ينفعك فلان وفلان حباً ولا دفاعاً، بل النافع لك هو اتباعك للحق، والحقُّ بتصريح النبىّ صلى الله عليه و آله عند علىّ: «علىّ مع الحقّ والحقّ مع علىّ» (۱) ۱۰۵.

فانظر لحالك إن لم تكن معه، فمن الآن فسارع والتحق بركب على عليه السلام قبل أن يعاجلك الفناء، وليس بعد ذلك إلا الحساب، وحينئذٍ لسان حال المتخلف عن ركب علىّ: رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحَاً (۲) ۱۰۶ النقطة الرابعة (۳) ۱۰۷: غزوات النبى صلى الله عليه و آله:

لقد استند فى الأدلة التى عرضها من آيات وروايات إلى ما ورد من مدح للصحابة فى ما بذلوه فى الغزوات مع النبى صلى الله عليه و آله من نفس ونفيس من مال وأولاد وعتاد، وهذا المدح من القرآن لهم

۱- مجمع الزوائد: ۷/ ۲۳۶ وقال: إنَّ رجاله رجال الصحيح إلا سعد بن شعيب، وهو اشتباه من النساخ فهو سعيد بن شعيب شيخ صالح صدوق راجع فى ترجمته تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ۴/ ۴۸، سنن الترمذى: ۳/ ۱۶۶، جامع الأصول: ۹/ ۴۲۰، المستدرك: ۳/ ۱۳۴، والكثير من المصادر الأخرى

۲- المؤمنون: ۱۰۰

۳- قد ذكر هذا الكاتب بعض غزوات النبى وبعض الآيات النازلة فيها، فراجع كتابه: صحبة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ص ۲۳ وما بعدها

ص: ۶۲

قد خلَّدهم، وسدَّ طرق الطعن عليهم أو تخوينِهم فى أدب التلمذة والتعلّم من النبى صلى الله عليه و آله.

ولنأخذ جولة سريعة حول تلك الآيات التى ادَّعى توافرها على هذا المعنى.

فهنا مواقف:

الموقف الأوّل: ما يتعلّق بمعركة بدر:

اشارة

ففى مرحلة التهيؤ لها كان المسلمون من جهة قد أخذتهم هيبة قريش وقوتها، وكثرة عدَّتِها وعتادها، ومن جهة أخرى: لابدَّ لهم من إثبات صحَّة موقفهم وتمسكهم بالدين الجديد.

فمن غلب عليه الجانب الأول ظهرت منه علائم النفاق والضعف والتخاذل.

وأمَّا من غلب عليه الجانب الثانى فقد أظهر البسالة والثبات.

فمثل المقداد الذى قال للنبى صلى الله عليه و آله: «إنَّا لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى:

اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون

، ولكن نقول لك: تقدما وقاتلا ونحن معكم» (۱) ۱۰۸...

فاقرأ ما نزل من آيات فى معركة بدر الكبرى؛ فقد كان جلُّ سورة الأنفال فى معركة بدر، وتأمل فى مضمون ما سنتلو عليك من آيات عبر مقاطع:

۱- تفسير الكشاف: ۲/ ۱۹۸

ص: ۶۳

المقطع الأوّل منها: خروج المسلمين للحرب

قال تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإنَّ فَرِيقاً مِن المُؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ* يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُم كَأنَّمَا يُسَاقُونَ إلَى المَوْتِ وَهُم يَنْظُرُونَ* وَإذْ يَعِدُكُم اللَّهُ إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أنَّهَا لَكُم وَتَوَدُّونَ أنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُم وَيُرِيدُ اللَّهُ أنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ* لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجرِمُونَ* الأنفال ۵- ۸.

ففی هذه الآیات صراحة ما بعدها صراحة فی أنَّ قسماً من الصحابة کان کارهاً للدخول فی حرب مع قریش، ومن المُبرِّرات ما ذکرناه سابقاً، ومنها ما هو معروف من أنَّهم لا رغبة لهم فی محاربة قومهم وإن کانوا کفاراً، ولذا عبَّرت الآیة بقوله یُجَادِلُونَکَ، والمجادلة وقعت حول الحق، وهل الصحابة المتبعون للنبی فی کل أمورهم یجادلون فی الحق، أیها الکاتب المحترم؟؟

ومَنْ هم الکارهون: هل هم فریق من الکفار أم فریق من المؤمنین؟؟.

ویناسب هنا أن نذکر ما یؤید کراهة البعض الخروج للقتال، فقد أخرج مسلم والحاکم وابن کثیر والبیهقی حین أخبرهم الرسول بقدوم قافلة أبی سفیان فتکلَّم أبوبکر فأعرض صلی الله علیه و آله عنه،

ص: ۶۴

وتكلم عمر فأعرض صلى الله عليه و آله عنه، ثمَّ قام سعد بن معاذ فتكلم، فسُرَّ صلى الله عليه و آله بقول سعد ونشَّطه (۱) ۱۰۹» ولكنَّ مثل صاحب تفسير الكشاف (۲) ۱۱۰ ممَّن خان الأمانة فقال: «فتكلم أبوبكر فأحسن وتكلم عمر فأحسن..» ومحا بتزويره إعراض النبى عنهما (۳) ۱۱۱.

وأمَّا الخليفة الثالث فلمَّا ساءت علاقته مع المصاهر له والمُنَصِّب له خليفةً فى شورى الستَّة عبدالرحمن بن عوف، لقيه الوليد فسأله عن عدم حضوره مجلس الخليفة، فأجابه: أن أبلغ عنى الخليفة أنِّى لم أغب عن بدر، ولم أفرَّ يوم عينين «أحد» (۴) ۱۱۲.

۱- صحيح مسلم: ۳/ ۱۴۰۳- ۱۴۰۴ برقم ۱۷۷۹، المستدرک: ۳/ ۲۸۳ برقم ۵۱۰۴، السيرة النبويَّة لابن كثير: ۲/ ۳۹۱- ۳۹۵، دلائل النبوة للبيهقى: ۳/ ۱۰۶

۲- تفسير الكشاف: ۲/ ۱۹۸

۳- وقيل إنَّ ما قالاه فيه نظر لعزَّة قريش وأنَّها ما ذلت مذ عزَّت.. ونظير هذا الكلام الذى أوجب من النبى الإعراض عنهما، فلاحظ مغازى الواقدى: ۱/ ۴۸، ولكنَّ حبَّ الشىء يعمى ويصم!!

۴- تاريخ المدينة؛ ابن شبة ۳/ ۱۰۳۳، مسند البزار: ۲/ ۵۲، وفيه تبرير من عثمان لمَّا وصله كلامه بأن قال: أمَّا إنَّما لم أحضر بدراً لمكان ابنة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأمَّا الفرار من معركة أحد فقد عفا اللَّه ورسوله عمن فرَّ من المعركة» واللطيف فى الأمر أنَّ الخليفة عثمان قد فرَّ عن محل المعركة حتى وصل إلى ينبع، فاحسب المسافة بين جبل أحد فى المدينة ومدينة ينبع، وعليك استنتاج مقدار شجاعة الخليفة وبسالته!! حتى قال له النبى لمَّا رجع: لقد ذهبت بها عريضة

ص: ۶۵

وفیه تعریض بغیابه عن بدر، والذی عبَّر عنه البعض بالفرار، وذلک لخروج کل المسلمین فیها أو أغلبهم، إذ کانت هی المعرکة الفاصلة، وتعریض بفراره فی معرکة أحد کما سیأتی.

هذا کله مع سبق وعد اللَّه لهم إمَّا اغتنام القافلة التی خرجوا لها- عِیْر قریش- وإمَّا النصر، ومع کل هذا لم تکن لهم رغبة فی ذلک.

فإن لم یکن ما صدر منهم حاکیاً لامتناع؛ فلا أقل من الشک فی وعد اللَّه لهم، فماذا تقول أیها الشیخ الجلیل؟

ولمَ غضضت النظر عن مثل هذه الآیة ولم تذکرها؟؟

المقطع الثانی: أجواء المعرکة وما بعدها

قوله تعالی: «وَاعلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَیءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِی القُرْبَی وَالیَتَامَی وَالمَسَاکِینَ وَابنِ السَّبِیلِ إنْ کُنتُم آمَنْتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَی عَبْدِنَا یَوْمَ الفُرقَانِ یَوْمَ التَقَی الجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَی کُلِّ شَیء قَدِیرٌ* إذْ أَنتُم بِالعدْوَةِ الدُّنیَا وَهُم بِالعدْوَةِ القُصْوَی وَالرَّکْبُ أَسْفَلَ مِنْکُم وَلَوْ تَوَاعَدْتُم لَاختَلَفتُم فِی المِیعَادِ وَلکِن لِیَقْضِی اللَّهُ أَمْرَاً کَانَ مَفْعُولًا لِیَهْلَکَ مَن هَلَکَ عَن بَیِّنَةٍ وَیَحْیَا مَنْ حَیَّ عَنْ بَیِّنَةٍ وَإنَّ اللَّه لَسَمِیعٌ عَلِیمٌ* إذْ یُرِیکَهُم اللَّهُ فِی مَنَامِکَ قَلِیلًا وَلَوْ أَرَاکَهُم کَثِیراً لَفَشِلتِم وَلَتَنَازَعْتُم فِی الأَمْرِ وَلکِنَّ اللَّه سَلَّمَ إنَّهُ عَلِیمٌ بِذَات الصُّدُور

ص: ۶۶

* وَإِذْ يُرِيكَهُم إِذْ التَقَيْتُم فِى أَعْيُنِكُم قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُم فِى أَعْيُنِهِم لِيَقضِى اللَّه أَمْراً كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الأُمُورُ*» الأنفال ۴۱- ۴۴.

فهـذه الآيات تبين وجوب الخمس فى ما ظفر به المسـلمون من غنائم، ولكنَّها وإن كانت نزلت فى غنائم معركـة بدر، ولكنَّ خصوص المورد لا يخصص الوارد، ولذا فهى تشمل كل ما يغنمه الإنسان من شىء، بقرينة قوله تعالى: «مِنْ شىءٍ» والغنيمة مطلق الفائدة.

ثـمَّ تـبين الآيـات موقع المسـلمين بالنسـبة للمشـركين، وقرب ركب قريش منهم، كمـا يـبين أثر الرؤيـا الـتى أراه اللَّه إياهـا فى نفـوس المسـلمين حيث قلَّلهم فى أعين المسـلمين، وكـثَّر المسـلمين فى أعينهم، ولو أراهم للمسـلمين على مـا هم عليه فى الواقع لتنـازعوا فى الإقدام على الخروج إليهم ومحاربتهم، وبالطبع نتيجة التنازع الفشل، والخلاصة بيان امتنان اللَّه عزَّ وجلَّ على المسـلمين بأن سلَّمهم من ذاك المكروه، رغم أنَّهم كانوا مهيئين للتنازع والفشل لولا أنَّ اللَّه سلَّم ...

المقطع الثالث: الأنفال .. حكمٌ وحكم

قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُل الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم وَأَطِيعُوا اللَّهَ

ص: ۶۷

وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِين. (۱) ۱۱۳ وفی هـذه المقاطع من الآیات یبین القرآن حکم الأنفال، ولکنَّ الـذی یظهر من آخر الآیـة أنَّهم قد اختلفوا فیهـا وتخاصـموا- کما تشـیر له بعض الروایات- ولـذا قال فی آخرها فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَیْنِکُم، والأمر بالتقوی لیس إلا لإمکان فعل مخالف للتقوی ومنافٍ لها، وکـذا أمرهم بإصـلاح ذات البین لیس إلا لوقوع ما یوجب النزاع والتخاصم، ثمَّ التعقیب علی ذلک بوجوب إطاعة اللَّه ورسوله وأنَّ إیمانهم مشروط بالالتزام بتلک الإطاعة.

ومن الشواهـد علی وقوع التخـاصم بینهم مـا رواه أبو أمامـة قال: سألت عبادة ابن الصامت عن الأنفال؟ فقال: «فینا أصـحاب بـدر نزلت حین اختلفنا فی النفل، فساءت فیه أخلاقنا فانتزعه اللَّه من أیدینا وجعله لرسوله، فقسَّمه رسول اللَّه بین المسلمین» (۲) ۱۱۴.

بل فی بعضها ممَّا مرَّ من المصادر السابقة: أنَّ النبی أمر أحدهم بوضع السیف الذی غنمه فی موضع ما یأخذه المسلمون فقال: وضعته ورجعت وفی نفسی شیءٌ لا یعلمه إلا اللَّه!!

۱- الأنفال: ۱

۲- مسند أحمد: ۵/ ۳۲۲، السیرة النبویَّة: ۳/ ۲۱۹، مجمع الزوائد: ۷/ ۲۶، تفسیر ابن کثیر: ۲/ ۲۸۴، وتوجد نصوص أخری مقاربة لها فی الألفاظ

ص: ۶۸

فياترى ما هو الذى فى نفسه؟ أيها الكاتب!!؟

وفى روايـة أخرى له: قال الـذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحـد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو: لستم أحقّ بها منّا...، وقال الذين أحدقوا برسول اللّه: لستم بأحقّ بها منّا؛ نحن أحدقنا برسول اللّه...» (۱) ۱۱۵

المقطع الرابع: قضية الأسرى

قوله تعـالى: مَـا كَـانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْـرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الأَـرْضِ تُرِيـدُونَ عَرَضَ الـدُّنيَا واللَّهُ يُرِيـدُ الآخِرَةَ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* لَوْلَا كِتَابٌ من اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ الأنفال: ۶۷- ۶۸.

ومن الواضح أنَّ مفاد الآيـة اختلاف المسـلمين فى الأسرى، فبعض يقول: اقتلوهم، وبعض يقول: ائتسروهم، فبيَّن اللّه عزَّ وجلَّ أنَّ الأسر إنَّما يكون بعد الإثخان فى الأرض لا قبله، ولذا بيَّن فى آيـة أخرى من سورة محمد أنَّ حكمهم ضرب رقابهم أو الفداء (۲) ۱۱۶.

وبهذا رفع اللّه اختلاف المسلمين حولهم، ثمَّ بيَّن أنَّ الأسر

۱- الدر المنثور: ۴/ ۱۰۵، وأخرى مثلها: ۴/ ۱۰۸

۲- وقـد أمر الرسول صـلى الله عليه و آله عليًّا بـأن يقتـل اثنين وهمـا عقبـة بن أبى معيط والنضـر بن الحارث، وأخـذ الفـداء من ثمانية وستين رجلًا- تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۴۶

ص: ۶۹

موافق لعرض الدنيا لا للآخرة، وأنَّ سبق أمر اللَّه أوجب عدم استحقاقهم للعذاب العظيم فيما لو أقدموا على ما أرادوا.

فكيف كانوا كذلك؟ وكيف صدر منهم ذلك؟ ألم يكونوا يرجعون فى كل أمورهم للرسول؟ وهل المتبعون لخطى النبى صلى الله عليه و آله والذين لا يحيدون عنه قيد أنملة يختلفون كهذا الاختلاف؟

وفى هذا المقطع أكبر دلالة على أنَّ الرضا والعفو الذى ادعاه الكاتب لكل أهل بدر ليس فى محله، إذ أنَّ بعضهم أهل عرض الدنيا وآخرون من أهل الآخرة، كما أنَّ بعضهم راغب فى الغنائم لا فى عزَّة الإسلام، وبعضهم ليس إلا لأخذ الثأر والانتقام.

فكيف يُدَّعى شمول العفو والرضوان لهم كلهم؟

وكيف يدعى أنَّ لهم الحق فى أن يذنبوا ما شاؤا ويرتكبوا من المعاصى ما أرادوا حتى فى مستقبل أيامهم!!؟

والحق أنَّ التأمل فى آخر الآية يقضى بأن يكون عفو اللَّه عنهم لكتاب سبق منه فى ذلك، لمصلحة غيبيَّة لا نعلمها، وقد خفيت علينا، والشاهد على هذا ظهور أمارات استحقاق العذاب العظيم.

المقطع الخامس: صورة من المعركة

قوله تعالى «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم ..».- إلى قوله تعالى- «إِذْ يُغَشِّيكُم النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِن السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُم

ص: ۷۰

وَیُثَبِّت بِهِ الأَقْدَام» الأنفال: ۱۱.

ففی الشق الأول منها لمَّا طرقهم الخوف من کثرة قریش استغاثوا باللَّه عزَّ وجلَّ فأمدَّهم اللَّه بألف، وقیل بثلاثة آلاف، وقیل: إنَّ القراءة آلاف من الملائکة، فأورثهم ذلک اطمئناناً، ولذا غشیهم النعاس للأمن الذی حصَّلوا علیه، ولو لم یکن أمن لما غشیهم النعاس، فناموا فاحتلم أکثرهم وضربهم العطش فأمطرهم اللَّه حتی جری الوادی فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا من الماء ما شاؤا (۱) ۱۱۷.

وبعد کل هذه الجولة فیما یتعلق بمعرکة بدر لم یظهر لنا شیءٌ مما ادعاه هذا الکاتب من دلالة الآیات علی رضا الله عزَّ وجلَّ عن کل الصحابة مطلقاً ما مضی منهم وما سیأتی.

الموقف الثانی: ما یتعلّق بمعرکة أحد:

اشارة

لقد أنزل اللَّه فی ما یتعلق بمعرکة أُحُد ما یقارب ستین آیة من سورة آل‌عمران- کما ذکر الکاتب- ولکنَّه لم یذکر من تلک الستین إلا ثلاث آیات أو أربع، وکأنَّها لیس فیها أمر ذو أهمیَّة للکاتب أو ممَّا یمس الصحابة فأهمل ذکرها؟ ولعل فیها ما لا یوافق غرضه من الکتاب؟

أو أنَّ فیها ما یوجب نقض غرضه، خاصة مع ضمِّ الروایات

۱- تفسیر الکشاف: ۲/ ۲۰۳ بتصرف

ص: ۷۱

المتعلقة بمعركة أحد؟

فَلِمَ- يا أخى الكاتب- تحاول إخفاء الحقائق التاريخيَّة المتعلقة بالموضوع؟!

وهب أنَّ هذا تمَّ لك وقبلناه؛ ولكن ما الموجب لإخفاء بعض الروايات المتوافرة فى الصحاح والأسانيد؛ والمُفَسِّرة لبعض الآيات النازلة حول المعركة؟

ولو قبلنا أنَّ كتب المؤرخين والسِّيَر كانت كلها أساطير بنظرك- وإن كان نظراً قاصراً وغير ذى بعد علمى- فهل أنَّ صحيحى البخارى ومسلم أساطير؟؟ (۱) ۱۱۸

ل أنَّ كل كتب الحديث الأخرى أساطير أيضاً؟

وهل يسوغ فى البحث العلمى أن يرمى الباحث كل مادَّة علميَّة لا توافق رغباته وآراءه بأنَّها أساطير وترهات وخرافات؟؟

فإلى متى إخفاء ما لا يمكن إخفاؤه ياأيها المدَّعون الاتباع للسنَّة؟؟.

المقطع الأوّل: مقدّمات المعركة:

لمَّا أن انهزمت قريش فى معركة بدر اتَّعدت (۲) ۱۱۹ لطلب الثأر؛

۱- الشيخ محمدعلى النجفى، صحبة الرسول صلى الله عليه و آله بين المنقول والمعقول، ۱جلد، نشر مشعر - تهران، چاپ: ۱، ۱۴۲۵ ه. ق..

۲- أى أعطت وعداً على نفسها وعهداً منها، وأوعدت المسلمين بالعودة لقتالهم، ثأراً لما أصابهم من معركة بدر

ص: ۷۲

فجمعت عـدَّتها وعَتَادِهَـا وتهيَّأت للثـأر، فكتب العبـاس للنبى صـلى الله عليه و آله بـذلك، فكـان رأى النبى صـلى الله عليه و آله أن لا يخرج من المدينـة لرؤيـا رآها، ولكنَّ الأنصار أشارت عليه بالخروج، ولمَّا همَّ صـلى الله عليه و آله بـذلك ولبس لَامَـةَ (۱) ۱۲۰ حربه ردَّت إليه الأنصار الأمر، وقالوا: لا تخرج؛ فقال: الآن وقـد لَبِستُ لَامَةَ حربى ولا ينبغى لنبى إذا لبسـها أن ينزعها حتى يقاتل ويفتح عليه (۲) ۱۲۱.

وعلى هـذا الأساس خرج الرسول صـلى الله عليه و آله فى أَلْفٍ من أصـحابه، ولمَّا وصـلوا منطقـة خارج المدينة انخذل عنه عبداللَّه بن أبى بن سـلول فى ثلث القوم، ولمَّا وصل النبى صلى الله عليه و آله جبل أُحُد تحصَّن فى سبعمائة من رجاله، وجعل خمسين رجلًا على الجبل وأمرهم بالثبات سواء انتصرنا أم هُزِمْنَا.

ولكنهم لمَّا رأوا المسـلمين قـد انتصـروا ودخلوا على المشـركين يغنمون من أموالهم نزلواعن الجبـل خلافـاً لأـمر النبى، وبقى اثنان أو ماينيف، فلمارأى المشـركون ذلك كرُّوا على المسـلمين من فوق الجبل فجرى ماجرى على المسـلمين من ويلات، فضُرِب النبى وشجَّ رأسه وكسرت رباعيته وأغمى عليه، وقد فرَّ المسلمون لذلك ... (۳) ۱۲۲.

۱- اللامة واللَّأْمَة: أداة الحرب من درع ومغفر وسيف و.. و

۲- تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۴۷

۳- صحيح البخارى: ۴/ ۱۴۸۶ حديث ۳۸۱۷، أنساب الأشراف؛ للبلاذرى: ۱/ ۳۱۸ وغيرها من المصادر

ص: ۷۳

المقطع الثانی: خدیعهٔ الاعلان عن موت النبی صلی الله علیه و آله

قوله تعالی: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُل أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَی أَعْقَابِکُم وَمَنْ یَنقَلِبْ عَلَی عَقِبَیْهِ فَلَن یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً وَسَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِین آل عمران: ۱۴۴.

کان المسلمون قد بایعوا النبی صلی الله علیه و آله علی أن ینصروه ولا یخذلوه فی موقف من المواقف، وقد سبق منَّا بیان خذلان بعضهم له بالکلام قبل معرکهٔ بدر.

وأمَّا فی معرکهٔ أحد ففیها ظهرت خفایا نفوس لم تکن لتظهر لولا امتحان اللَّه لهم بهذه المعرکهٔ، فاعلم أنَّه لمَّا رمی ابن قمئهٔ الحارثی رسولَ اللَّه بحجر فکسر رباعیَّته وشجَّ وجهه تقدَّم لیقتله، فذب عنه مصعب بن عمیر حتی قتله ابن قمئهٔ هذا، فظنَّ أنَّه قتل النبی فنادی- وقیل: إنَّ المنادی هو الشیطان- أنْ: «قُتِلَ محمدٌ» ففشا فی الناس خبر قتله فانکفأوا فناداهم رسول اللَّه: إلیَّ یا عباد اللَّه.. فرجعت له فئهٔ فَلَامَهُم علی هربهم (۱) ۱۲۳ فقالوا: یارسول اللَّه أتانا خبر قتلک فرعبت قلوبنا فولَّینا مدبِرین.

وقد روی أنَّه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمین: لیت

۱- وفی تفسیر الطبری ۴/ ۱۲۱ أشار لما فیه تأنیب اللَّه عباده الذین فَرُّوا عن العدو یوم أحد وترکوا قتالهم

ص: ۷۴

عبداللَّه بن أبى يأخذ لنا أماناً من أبى سفيان (۱) ۱۲۴، ولم يَرُق لهذا المُفَسِّر أن يذكر من هم أولئك البعض، ولكن فى بعض كتب السير أنَّهم كانوا جماعة من كبار الصحابة.

وقد نقل السيوطى فى تفسيره للآية فقال: ذلك يوم أُحُد حين أصابهم ما أصابهم من القتل والجرح، وتداعوا نبىَّ اللَّه؟ قالوا:

«قد قُتل»، وقال جماعة منهم: لو كان نبيًّا ما قُتل، وقال أناس من عِلْيَةِ أصحاب النبى صلى الله عليه و آله: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيُّكم حتى يفتح اللَّه عليكم أو تلحقوا به.

وذكر لنا أنَّ رجلًا من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار يتخبط فى دمه، فقال له: أشعرت أنَّ محمداً قد قُتِل؟ فقال الأنصارى: إن كان محمَّدٌ قد قُتِل فقد بلَّغ، فقاتلوا عن دينكم، فأنزل اللَّه تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِل...

يقول: ارتددتم بعد إيمانكم (۲) ۱۲۵.

المقطع الثالث: غلبة المسلمين لولا ... شواهد بلسان الفارّين

قال تعالى: وَلَقَد صَدَقَكُم اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه

۱- تفسير الكشاف: ۱/ ۴۲۲- ۴۲۳، تاريخ الطبرى: ۲/ ۱۷۹، مغازى الواقدى: ۱/ ۲۸۰، تفسير ابن كثير: ۱/ ۶۴۹، والسيرة النبوية له: ۳/ ۶۸

۲- الدر المنثور: ۲/ ۳۳۵

ص: ۷۵

حَتَّى إِذَا فَشِلْتُم وَتَنَازَعْتُم فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنيَا وَمِنكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُم لِيَبْتَلِيكُم وَلَقَد عَفَا عَنْكُم وَاللَّه ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤمِنِينَ* إِذْ تُصعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم فَأَثَابَكُم غَمَّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلَا مَا أَصَابَكُم وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ* آل عمران:

۱۵۲- ۱۵۳.

فقد بيَّنت الآيات ظهور المسلمين على المشركين، وكاد النصر أن يكمل ولكنَّ رؤية المسلمين للغنائم أعجلهم بترك أماكنهم، فتنازعوا الترك وعدمه (۱) ۱۲۶، وكانت كلمة الفصل بنزولهم عن الجبل الذى كان يكوِّن ظهراً للنبى يحميه عن الأعداء، فما إن ارتفعت الحماية عن النبى صلى الله عليه و آله بعصيان المسلمين لأوامر النبيِّ حيث رأوا ما يُحبّون من الغنائم، حتى أجهز الكفار عليهم بأن تحوَّطوهم من أعلى الجبل بقيادة خالد بن الوليد، ولكنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ قد عفا عن أولئك العصاة وتفضل عليهم بالمغفرة (۲) ۱۲۷.

۱- قالوا: واللَّه لنأتين الناس فنصيبَنَّ من الغنائم، فعصوا وانطلقوا ولم يبق منهم إلا عبد اللَّه ومعه دون العشرة، صحيح البخارى: ۴/ ۱۴۸۶ حديث ۳۸۱۷

۲- ومما يؤسف له أنَّ هذا الكاتب لا يقتصر تقطيعه للنصوص والشواهد على كتب التاريخ والسيرة، بل تعدى حتى بالنسبة للقرآن، فنجده هنا يستقطع من الآية أولها وآخرها، ويكتفى منها بقوله ولقد عفا عنكم، ولكن لا يغيب عن الأخ القارىء أنَّ العفو من الأمور ذات التعلق، فلو سأله شخص: عن أى شيءٍ عفا اللَّه عنهم، فإنَّ العفو فرع تحقق المعفو عنه، ولابدَّ أن يكون ذلك عن ذنب صدر منهم؟ كل هذه الاستفسارات حاول الكاتب إخفاءها عن القارىء

ص: ۷۶

ثمَّ بيَّنت موجب العفو عنهم، وهو الذنب الذى ارتكبوه فى المعركة ولمَّا تنتهِ بعدُ، ألا وهو فرارهم من الزحف وهو المعبَّر عنه بقوله: تُصْعِدُون وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِى أُخْرَاكُم.

ولعلَّك لا تصدِّق بصدور هذا الذنب منهم، والعلَّة هى كونهم صحابة (۱) ۱۲۸، فهاك بعض الشواهد على ما ذكرنا من الذنب (۲) ۱۲۹ والمعصية:

۱- قال محمد بن مسلمة: «سمعتْ أذناى وأبصرتْ عيناى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول يومئذٍ وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم يلوون عليه وإنَّه ليقول: إلىَّ يا فلان، إلىَّ يا فلان، أنا رسول اللَّه! فما شرح منهما واحد عليه ومضيا (۳) ۱۳۰.

۱- والعجب لا ينقضى منهم! إذ كيف يحاولون إثبات صدق صحبتهم من مثل هذه الآية بتصريحها بالعفو عنهم، ويثبتون من جهة أخرى أنَّهم مفعوٌّ عنهم لكونهم من الصحابة، ألا يلزم الدور الباطل من هذا الاستدلال؟؟

۲- فقد كان الصحابة أنفسهم يعدونه- على بساطتهم- ذنباً ويعترفون به، فما الداعى لك أيها الكاتب لأن تنفى عنهم ما يثبتونه لأنفسهم؟

۳- شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد المعتزلى: ۱۵/ ۲۳- ۲۴ عن مغازى الواقدى

ص: ۷۷

وفی هذا أکبر شاهد علی تحقق الفرار من بعض الصحابة، والفرار من الزحف یعدُّ من الکبائر، بل من أکبر الکبائر.

۲- فقد روت أمُّ المؤمنین عائشة عن أبیها: «کان أبوبکر- إذا ذکر یوم أحد- بکی ثمَّ قال: ذاک یوم طلحة... ثمَّ أنشأ یحدث قال: کنتُ أول من فاء (۱) ۱۳۱ یوم أحد.. فرأیت رجلًا یقاتل مع رسول اللّه فقلت: کنْ طلحة التیمی؛ حیث فاتنی مافاتنی، یکون رجلًا من قومی...» (۲) ۱۳۲، ولا یخفی أنَّه مع اعترافه بالفرار یتمنی أن یکون المنافح عن رسول الله هو طلحة بن عبید اللّه التیمی لأنَّه من قومه، ولکنَّ أمنیته لم تتحقق فقد کان طلحة من الفارِّین أیضاً، فاستمع لهذا الخبر لتعرف ذلک:

۳- «لمَّا دوَّن عمر الدواوین جاء طلحة بنفر من تیم یستقرض

۱- فاء: رجع

۲- الطبقات لابن سعد: ۳/ ۱۵۵، السیرة النبویة لابن کثیر: ۳/ ۵۸، کنز العمال: ۱۰/ ۲۶۸، البدایة والنهایة لابن کثیر: ۴/ ۲۹- ۳۲، تاریخ الإسلام للذهبی: ص ۱۹۱، المستدرک للحاکم: ۳/ ۲۷، تاریخ الخمیس: ۱/ ۴۳۱، وغیرها من المصادر، والمناسب ذکره أنَّهم یروون: «أنَّ أبابکر أشجع الناس لأنَّه ثبت مع النبی مدافعاً عنه یوم بدر، فی عریش النبی» مجمع الزوائد ۹/ ۴۶۱، وقد ینسبون الروایة إلی علی علیه السلام حتی تکون أقرب للقبول، ولکن للأسف فالروایة قد رواها بلا إسناد، وقال عنها الهیثمی: فیها من لم أعرفه، بل یکذبها صحیحة ابن إسحاق من أنَّ سعد بن معاذ هو الذی کان یحرسه یوم بدر؛ عیون الأثر لابن سید الناس ۱/ ۲۵۸، فتأمل!!

ص: ۷۸

لهم، وجاء أنصارى بغلام مصفَّر سقيم، فسأل عنه عمر فأُخبِر أنَّه البراء بن أنس بن النضر؛ ففرض له أربعة آلاف، وفرض لأصحاب طلحة ستمائة، فاعترض طلحة، فأجابه عمر: إنى رأيت أبا هذا جاء يوم أُحُد وأنا وأبوبكر قد تحدثنا: أنَّ رسول اللَّه قد قُتِل؛ فقال: يا أبا بكر ويا عمر: مالى أراكما جالسين؟ إن كان رسول اللَّهِ قُتل فإنَّ اللَّه حىّ لا يموت» (۱) ۱۳۳.

وقال أنس بن مالك: «إنَّه لمَّا انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدفى رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل محمد رسول اللَّه (۲) ۱۳۴.

۴- كان عثمان ممَّن فرَّ وجاء بعد ثلاثة أيام من الواقعة فقال له رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله: لقد ذَهَبْتَ بها عريضة (۳) ۱۳۵.

۱- تاريخ الطبرى: ۲/ ۱۹۹، لباب الآداب: ص ۱۷۹

۲- الكامل فى التاريخ لعز الدين ابن الأثير: ۲/ ۱۵۶، دلائل النبوة: ۳/ ۲۴۵، وقد نصَّ فى مجمع الزوائد على أنَّ من الفارِّين أبو بكر وعمر فراجع: ۹/ ۱۲۴ وذلك بإخراج الطبرانى والبزار، كما أنَّ رجال الثانى هم رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الرحمن ومحله الصدق.

أقول: وليس يضر ذلك عندهم ما دام اللَّه عزَّ وجلَّ قد عفا عنهم وغفر لهم تلك الخطيئة، وهذا ليس مطلبنا، ولكن يكفينا منه ثبوت أنَّ من الصحابة من لم يكن بتلك المرتبة التى تنسب له من قبل المتأخرين عن تلك الحقبة الزمنيَّة، إذ مع اعترافهم أنفسهم بذلك فما الداعى لإنكارنا وقوعه منهم؟

۳- الكامل فى التاريخ: ۴/ ۲۸، تاريخ الطبرى: ۲/ ۶۹، السيرة الحلبيَّة للحلبى: ۲/ ۵۰۴، وقيل بأنَّه وصل فى فراره إلى ينبع وكما حدَّث هو عن نفسه

ص: ۷۹

۵- قال الذهبى: انهزم الناس عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم أحد فبقى معه أحد عشر رجلًا، وقال: أُفرِد يوم أحد فى سبعة نفر من الأنصار واثنين من المهاجرين (۱) ۱۳۶، وقيل: معهم سهل بن حنيف.

۶- أخفى عثمان بن عفَّان أحد جنود قريش وهو معاويـة بن المغيرة بن أبى العاص «ابن عمه» وقد أخبر اللَّه نبيَّه بذلك فأصدر أوامره بجلبه وقتله، ولمَّا جاءوا به ادَّعى عثمان أنَّه جاء يطلب الأمان له! فأعطاه الرسول الأمان له ثلاثة أيَّام، لكنَّه لم يخرج وبقى ثلاثاً يستعلم أخبار الرسول ليأتى بها قريشاً، ولما عاد الرسول صلى الله عليه و آله فى اليوم الرابع فرَّ معاويـة، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرمياه حتى قتلاه (۲) ۱۳۷.

۷- ذكر الحاكم عن سعد: «لمَّا جال الناس عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تلك الجولة تنحيتُ، فقلتُ: أذود عن نفسى، فإمَّا أن أُستَشْهد وإمَّا أن أنجو.. إلى أن قال: فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أين كنتَ اليوم يا سعدُ؟ فقلتُ: حيث رأيتَ» (۳) ۱۳۸.

وغيرها الكثير من المواقف والحوادث التى يتنزه القلم عن

۱- تاريخ الإسلام للذهبى ص ۱۹۱، صحيح مسلم: ۵/ ۱۷۸، أقول: كان الاثنان من المهاجرين هما على ابن أبى طالب وسهل بن حنيف، ولكن أقلامهم تأبى عن ذكر ذلك، فلاحظ الرسالة العثمانيَّة ص ۲۳۹، وكذا شرح النهج: ۱۳/ ۲۹۳

۲- النزاع والتخاصم: ص ۲۰، السيرة الحلبيَّة: ۲/ ۲۶۰

۳- المستدرك للحاكم النيسابورى: ۳/ ۲۶

ص: ۸۰

ذكرها، ويترفّع عن التعرّض لها، لوضوحها ومعرفة كل أحد بها.

ولا ينقضى العجب من هذا الكاتب وأمثاله حيث يحاولون التصفيق بيد واحدة، فيرموا عن غير قوسهم، ويركبوا غير مركبهم، كل ذلك انتصاراً لأقوام ذهبوا بأعمالهم ولهم حسابهم الخاص عند اللّه.

ولعلّهم أسفوا لمّا لم يشاركوهم فى مثل تلك الأمور، فهبّوا للدفاع عنهم حتى ينالوا ما نالوا؟؟

المقطع الرابع: القرآن يتحدّث عن الفارّين

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُم يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ إِنَّمَا استَزَلَّهُم الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم الأنفال: ۱۵۵.

فإنَّ الآية أصرح ممَّا قبلها فى بيان تحقق الفرار من الزحف خوفاً من المشركين، ففى تفسير الكشاف التصريح بأنَّه لم يبقَ مع الرسول إلا سبعة أو أحد عشر أو اثنا عشر..، وفى دلائل النبوة للبيهقى: عندما سُئِلَ صلى الله عليه و آله عن الفارِّين من أرض المعركة يومئذٍ، قال: كفر عامَّتهم (۱) ۱۳۹.

وعلى كلّ حال؛ فليس غرضنا بيان حكمهم، من حيث

۱- دلائل النبوة: ۳/ ۲۸۳

ص: ۸۱

الثبات أمام العدو أو الفرار، ولكنَّها روايات تُذكر فى الباب فأحببنا ذكرها، تنويهاً على حال الصحابة، فى مقابل ما دلَّس به هذا الكاتب على القُرَّاء من إخفاء ما ينبغى إظهاره، أو التمسك بما هو ظاهر من صفاتهم لكل أحد وتعميمها على جميعهم، وكأنَّه ليس يوجد غيره من صفات وأحوال.

وأمَّا آخر هذا المقطع، والذى اقتطع الكاتب مثيله من آية أخرى، وهو صدور العفو من ساحة القدس الإلهى- وهو العفوُّ الكريم- فهو مزيد تفضل ومنَّة من اللَّه عزَّ وجلَّ عليهم، لعلَّهم يتَّقُون فى مستقبل أيامهم ولا يرجعوا إلى مثلها، وذلك من حيث إنَّ الشيطان قد استزلَّهم فتابعوه، خاصة وأنَّهم قد سبق منهم بيعته صلى الله عليه و آله على أن ينصروه ويؤازروه وأن لايخذلوه، فكان ذلك منهم خروجاً عن عهدهم، ونقضاً له، ومع كلِّ هذا فقد عفا اللَّه عنهم.

والسؤال الذى أثاره هذاالكاتب، ونحتاج للإجابة عليه هو:

أنَّ عفواللَّه ومغفرته عنهم عفوٌ عن كل ذنوبهم حتى المستقبليَّة منها، فضلًا عن الماضية فيما قبل المعركة؟ أم أنَّه عفوٌ عمَّا صدر منهم فى هذه المعركة من الفرار الذى صدر منهم ليس إلا؟

إنَّ الذى يُستفاد بل يَنُصُّ عليه بعض المفسرين كتفسير ابن كثير والكشاف والبيضاوى والرازى، بل الجلُّ منهم: أنَّه عفوٌ عمَّا صدر منهم هنا فى هذه الواقعة، إذن فتعدية العفو لغيره من المعارك

ص: ۸۲

أو المواقف- فضلًا عمَّا يصدر بعدها فى مستقبل أيَّامهم- ليس منظوراً إليه فى الآية إطلاقاً.

فمن يـدّعيه يُحمِّل النص مـا لاـ يتحمـل، بـل ينسب إلى القرآن وإلى الرسول، بل إلى اللَّه عزَّ وجلَّ ما لم يقله وما لم يُرِده، بلا دليل أو بينة وبرهان مبين.

وما الداعى إلى أن يعفو عنهم فيما يصدر عنهم مستقبلًا؟ وهل هو إلا تغريرٌ بهم وإلقاء لهم فى المعصية؟ وبعد ذلك، ما فائدة التكليف لهم؟ إذ أنَّهم معفوٌّ عنهم فى كل ما يصدر أو سيصدر عنهم مستقبلًا، فهم فى الجنَّة على كل حال أحسنوا أو أساؤا؟!.

وأى عاقل يرى أنَّ عفو السيِّد عن مولاه وعبده فى ذنبٍ صدر منه فى يومٍ ما بأنَّه عفوٌ صدر منه فى حقّ كلّ ذنوب عبده ذاك؛ السابقة والمستقبلة؟؟

حاشا وكلَّا للعقلاء أن يدَّ عُوا ذلك!

المقطع الخامس: ردّة الفعل المعاكسة

قوله تعـالى: الـذِّينَ اسـتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْـدِ مَا أَصَابَهُم القَرْحُ لِلـذِّينِ أَحْسَـنُوا مِنْهُم وَاتَّقَوا أَجْرٌ عَظِيمٌ* الـذِّينَ قَالَ لَهُم النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوهُم فَزَادَهُم إيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ* آل‌عمران: ۱۷۲- ۱۷۳.

ص: ۸۳

لمَّا رجع المسلمون من أُحُد سمعوا بأنَّ أبا سفيان يهمُّ بالرجوع لهم وإعادة الكرَّة عليهم فى المدينة، فتهيأ النبى صلى الله عليه و آله للقتال وعزَّم بأصحابه أن يهبُّوا معه، فخرجوا بعد لأْيٍ شديد، وامتناع من البعض (۱) ۱۴۰، والبعض استجاب مباشرةً، فخرجوا وخيَّموا فى حمراء الأسد، ولكنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ قد أرعب قلوب المشركين فرجعوا إلى مكَّة، ولم يتقدموا إلى المسلمين، فرجع المسلمون سالمين فى أنفسهم، وقد تفضل اللَّه عليهم بالنعم، واختلف فيها:

فقيل هى السلامة، وقيل التجارة التى ربحوها، وقيل رضا اللَّه وعفوه عنهم، وقيل إرعاب المشركين...

وعلى كلّ حال، فالآية متصلة بما قبلها، فالاسم الموصول هنا راجع للمؤمنين المذكورين فى الآية السابقة، فهم الذين استجابوا للَّه وللرسول، ولذا قال النبى صلى الله عليه و آله: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة بالأمس.

ولكنَّ تتمة الآية فيها مزيد اختصاص لجماعة منهم- فى ما لو بنينا على أنَّ كلمة «منهم» للتبعيض- فمفادها أنَّ الذين أحسنوا واتقوا من الذين استجابوا، لا كل الذين استجابوا، فهى تتعرض لحكم مَنْ أحسن واتقى ممَّن استجاب فقط، وهذا هو المعنى

۱- إذ أنَّ من أخبرهم بعزم أبى سفيان- وهو أبونعيم وقيل غيره وهو المقصود من كلمة الناس- الرجوع، قد أرعبهم منه وخوَّفهم لقاءه، علاوة على كثرة الجرحى بينهم

ص: ۸۴

الظاهر منها.

خلافاً لما ذكره صاحب الكشّاف والفخر الرازى وغيرهم من دعوى إرادة التبيين، وأنَّ كل الذين استجابوا أحسنوا واتقوا، فهى دعوى بلا برهان، إذ أنَّ إحسانهم مشكوك فيه، خاصة بعد أن صدر منهم ما صدر فى الأمس المذكور وهو يوم أُحُد، ولذا ذكر فى الكشاف أنَّ النبى صلى الله عليه و آله قال لهم: سوف أخرج، وأقاتلهم، ولو كنت وحدى: «حسبنا اللَّه ونعم الوكيل».

الموقف الثالث: ما يتعلق بمعركة الخندق:

اشارة

وقد سُمِّيت الأحزاب لتحزب قريش والقبائل واليهود، وكانوا نحو عشرة آلاف فارس، والمسلمون كانوا ثلاثة آلاف، وفى هذه المعركة الكبيرة نزل ما يصل إلى تسع آيات من سورة الأحزاب.

ولكنَّ هذا الكاتب- كعادته- اقتصر منها على ثلاث آيات وهى مما يوافق هواه، وترك ما يمكن أن يخدش بكرامة مَنْ ينافح عنهم مستميتاً بماله ودمه وقلمه وفكره، فاستمعْ لهذه الآيات لترى صحَّة دعوانا وكذب دعواه على إطلاقها:

المقطع الأوَّل: صور من نعم اللَّه عزّوجلّ

قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا اذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم إذ جَاءَتْكُم جُنُودٌ فَأرسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحَاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وكَانَ

ص: ۸۵

اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً* إِذْ جَاءُوكُم مِن فَوْقِكُم وَمِن أَسْفَلَ مِنكُم وإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَت القُلُوبُ الحَنَاجِر وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا* هُنَالِكَ ابتُلِى المُؤمِنُونَ وَزُلزِلُوا زِلزَالًا شَدِيدَاً* الأحزاب: ۱۱.

فی هذه الآیات تذکیر من اللَّه عزَّ وجلَّ بنعمته علی المسلمین بأن أعانهم علی ردِّ تلک الجنود حیث جاءوهم من جانبین: من الأعلی وهم الیهود والقبائل، ومن الأسفل وهم قریش.

کما بیَّنت الآیات الحالة النفسیَّة للمسلمین من خلال الفزع الذی انتابهم بصورتین: زاغت الأبصار؛ أی مَالَتْ وکادت أن تأفل وتطیر من محلها، وبلغت القلوب الحناجر، کنایةً عن قرب الموت لهم.

فظنوا ظنَّ السوء بالنبی ونبوَّة النبی فقالوا: لو کان نبی حقٍّ لما خذله ربُّه، وهو ظنٌّ سوء باللَّه عزَّ وجلَّ، وشکٌّ فی حقیَّة رسالة النبی صلی الله علیه و آله.

وإلیک شاهداً علی ذلک الخوف والقلق النفسی والشک الذی انتابهم: فقد ذکر البیهقی (۱) ۱۴۱ فی سننه الکبری عن حذیفة: قال رجل: لو أدرکتُ رسول اللَّه قاتلتُ معه أو أبلیتُ، فقال له

۱- سنن البیهقی: ۹/ ۱۴۸

ص: ۸۶

حذيفة: أنتَ كنتَ تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول اللّه ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة ومرَّ صلى الله عليه و آله فقال: ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة، فلم يجبه منَّا أحدٌ، ثمَّ نادى الثانية ثمَّ قال: يا حذيفة قم فأْتِنَا بخبر القوم، فلم أجد بدَّاً من ذلك، وقد ذكر اسمى. وقد رواه مسلم أيضاً (۱) ۱۴۲.

ومن عباراتهم قول معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر الآن أن نذهب إلى الغائط (۲) ۱۴۳.

وعلى هذا فقوله تعالى: وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا خطاب للذين آمنوا، هذا مع أنَّ منهم الثابت القلب والقدم، هذه طائفة خاطبها القرآن، والطائفة الثانية الذين هم على حرفٍ، والثالثة هم المنافقون الذين لم يكن الإيمان إلا بألسنتهم.

فأمَّا قول المنافقين؛ فقد حكاه القرآن، وأمَّا قول مرضى القلوب فهو ما حكيناه سابقاً عن معتب وأمثاله، وأمَّا قول المؤمنين فهو: أنَّنا مُبْتَلَوْن من اللّه فى هذه الوقعة، ولذا حكى عنهم القرآن.. وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدَاً..

وأمَّا ضعاف القلوب فهم الذين قالوا: إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِى بِعَورَةٍ إن يُرِيدُونَ إلَّا فِرَارَاً..

۱- صحيح مسلم: ۳/ ۱۴۱۴

۲- تفسير الكشاف: ۳/ ۵۲۶

ص: ۸۷

المقطع الثانى: وكان عهد اللّه مسؤولًا

قوله تعالى: وَلَقَد كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبلُ لَا يُوَلُّون الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا* قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُم الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُم مِن المَوتِ أَوْ القَتْلِ وَإذَاً لَا تُمَتَّعُونَ إلَّا قَلِيلًا* الأحزاب: ۱۵- ۱۶.

من الأمور التى أوجبت زيادة خوف المسلمين ووجيبهم هو مخالفة بعض القبائل لهدنتها مع النبىّ، ونقضها للعهد المضروب منهم للنبىّ بأن لا يحاربوه ولا ينتصروا لغيره عليه، وهذا الذى أوجب لهم الخوف ونقض ما عاهدوا رسول‌اللّه فى بيعتهم له بعد تراجعهم له فى أحد حيث أخذ العهد عليهم أن لا يفروا ثانية وإلا نزل بهم العذاب، وبأن لا يولُّوا الأدبار، ولا يفرُّوا من الزحف، والتقريع والإيعاد من اللّه لهم واضح من قوله: وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا، فإنَّهم سيسألون عن ذلك العهد، وما كان منهم اتجاهه، وهل حافظوا عليه أم نقضوه وجعلوه وراء ظهورهم؟

ثمَّ يعقب على ذلك بأنَّ الفرار الذى صدر منكم لن ينفعكم، فإنَّ الموت ليس ممَّا يختصُّ تحققه بأرض القتال والمعركة، بل هو بيد اللّه يجعله حيث يشاء ويوقعه بمن شاء وقتما يشاء.

ونضيف هنا توضيحاً للإشكال: إنَّ الذين عاهدهم اللّه على عدم الفرار هل هم الصحابة أم المنافقون أم الكفار؟ وهل أنَّ الفرار وقع منهم أم لا؟ وهل حصَّلوا على ما أمَّلوا من الفرار أم لا؟

ص: ۸۸

نرجو من الكاتب أن يتأمل فى النصوص القرآنية جيداً قبل أن تمسك يده بالقلم مرَّة أخرى.

المقطع الثالث: من الذى لم يؤمن واقعاً؟!

قوله تعالى: قَدْ يَعْلَم اللَّه المُعَوِّقِينَ مِنْكُم وَالقَائِلِين لإخْوَانِهِم هَلُمَّ إلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ البَأْسَ إلَّا قَلِيلًا* أَشِحَّةً عَلَيكُم فَإذَا جَاءَ الخَوْف رَأَيْتَهُم يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُم كَالذِّى يُغْشَى عَلَيْهِ مِن المَوْتِ فَإذَا ذَهَبَ الخَوْف سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَةً عَلَى الخَيْر أُولَئِكَ لَمْ يُؤمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُم وَكَان ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً الأحزاب: ۱۸- ۱۹.

وحقيقة الأمر أنَّ اللَّه يعلم حال هذه الطائفة من الصحابة، فهم ظاهراً مؤمنون، بل يتظاهرون بذلك أمام المؤمنين، ولكنَّهم إنَّما يسايرون المؤمنين لتثبيطهم عن الحرب ومنعهم من الخروج مع الرسول صلى الله عليه و آله لمقاتلة المشركين بعد ذلك، وكانوا يقولون: ما كان محمدٌ وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لأكلهم أبو سفيان.

فكانوا يستدعون ضعاف القلوب من الصحابة إليهم ويثبطونهم عن القتال، لكنَّ كلَّ هذا لا يعنى أنَّهم لم يكونوا من الصحابة ظاهراً، خاصة على معنى الصحبة عندكم، وهو: من رأى النبى زماناً، أو مَن رآه وصحبه وروى عنه.

وكذا على المعنى المختار لك أيها الكاتب بأنَّ الصحابى من آمن

ص: ۸۹

بالنبى وصحبه ولو لفترة، ولا شكَّ أنَّ هؤلاء ممَّن رآه وآمن به، ولكن هكذا تكون القلوب المريضة التى لم تؤثّر فيها الصحبة، وكما وصفها القرآن فقد قال تعالى حاكياً عنهم: وَإِذَا لَقُوا الذِّينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحْنُ مَسْتَهْزِؤُون (۱) ۱۴۴، فتراهم يُسايِرون المؤمنين إلاـ أنَّ قلوبهم ليست معهم، ويخافون أن يتخطفهم الموت، والمعبَّر عنه فى الآيات بالبأس، فلا يقدمون عليه إلا للدفاع عن أنفسهم.

ولكن بعد انتهاء المعركة يُحادُّون المؤمنين بألسنتهم طلباً للغنائم، وكأنَّهم قاتلوا معهم، ولذا أخبر فى آخر الآية بأنَّهم يُظهرون لكم الإيمان، ولكنَّهم ليسوا مؤمنين واقعاً: أُولَئِكَ لَمْ يُؤمِنُوا.

المقطع الرابع: من آمن وصدّق وآزر؟

قوله تعالى: وَلَمَّا رَأَى المُؤمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَـذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُه وَمَا زَادَهُم إِلَّا إِيمَانَاً وَتَسْلِيمَاً* الأحزاب: ۲۲.

هذا بيان لقسم من الصحابة الذين قد ناصروا النبى وصدقوا ما عاهدواعليه، وهم الذين بلغوا من الإيمان الدرجة الكبيرة،

۱- البقرة: ۱۴

ص: ۹۰

ولـذا فلم يزدهم تجمُّع الأحزاب خوفاً، و لم يورثهم شـكاً فى دينهم، أو فى رسالـة نبيهم، كما وقع ذلك للطائفة السابقة من الصـحابة؛ فقال حاكياً حالهم: وَيَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، حيث ظُنُّوا ظنَّ الجاهليَّة، ولكنَّ هذا ليس مدحاً لكل الصحابة؛ كما هو واضح.

وعلى هذا يتَّضح أنَّ الصحابة لم يكونوا كلّهم على نسقٍ واحدٍ، وفى درجة واحدة من الإيمان بالنبى وبحقيَّة رسالته، بل كانوا يتفاوتون فى ذلك، وهذا فى حد ذاته ليس عيباً فيهم، ولكنَّ العيب والنقص فيمن يدعى لهم ما لا يدعونه لأنفسهم.

المقطع الخامس: بطل المعركة الخالد ...

ما يتعلّق ببطل المعركة الكبير أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السـلام: فمن المؤسف جدَّاً أن يحاول هذا الكاتب اللفَّ والدوران حول آيـات العفو والغفران للصـحابة، ويعطف على ذلـك بآيـات التأييـد والنصـر من قبل اللَّه عزَّ وجلَّ للمؤمنين، دون تعرض لمن تمَّ النصر والتأييد على يده وبسيفه.

ففى معركة بدر الكبرى كان أكثر قتلى المشركين بيد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وكذا فى أُحُد، وهكذا فى معركة الخندق هذه.

فمن الذى برز لعمرو بن عبد ودّ العامرى حينما طلب المبارزة

ص: ۹۱

من المسلمين؟ هاك النصوص التى تحكى ذلك:

۱- قال حذيفة لبعضهم:... «يا لُكَع وكيف لا يحتمل؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة- يعنى نفسه- وجميع أصحاب محمد صلى الله عليه و آله يوم عمرو بن عبد ودٍّ، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا عليّاً، فإنَّه برز إليه وقتلهعلى يده.

والذى نفس حذيفة بيده لَعَمَلُهُ ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد صلى الله عليه و آله إلى يوم القيامة» (۱) ۱۴۵.

۲- روى الحاكم فى المستدرك قول النبى صلى الله عليه و آله: «لَمُبَارَزَةُ على بن أبى طالب لعمرو ابن عبد ودٍّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتى إلى يوم القيامة» (۲) ۱۴۶.

وفى لفظ آخر: أفضل من عبادة الثقلين، وفى ثالث: تعدل عمل الثقلين.

فياترى لو سألنا هذا الكاتب: هل كان من الحق والعدل والإنصاف أن تهمل ذكر رجل كان سبب النصر فى تلك المعركة

۱- الإرشاد للمفيد: ۱/ ۱۰۲

۲- المستدرك على الصحيحين: ۳/ ۳۲- ۳۴، وراجع ما يقرب من هذه الألفاظ: تاريخ بغداد: ۳/ ۱۹، مناقب الخوارزمى: ص ۱۰۴، المغازى للواقدى: ۲/ ۴۷۰- ۴۷۱، عيون الأثر: ۲/ ۶۲، نهاية العقول للرازى: ص ۱۰۴، البداية والنهاية لابن كثير: ۴/ ۱۲۲، دلائل النبوة: ۳/ ۴۲۲، سيرة ابن هشام: ۳/ ۲۶۵، الطبقات لابن سعد: ۲/ ۶۸، السيرة الحلبيَّة: ۲/ ۳۲۰

ص: ۹۲

بل فی غیرها أیضاً، محاولًا إخفاء الحقیقة الناصعة، وتجعله کأحد عامَّة الصحابة الذین تمتدحهم لمجرد صحبتهم؟

وهل تعدل مَنْ تساوی أو تفضل ضربَتُه فقط فی ذلک الیوم لعمرو بن عبد ودّ کل أعمال الثقلین بل عبادتهم، وإلی یوم القیامة، تعدله بمن جبن عن قتال الأبطال؟

فما لکم کیف تحکمون!!؟

وهل بقی المسلمون وتمَّ لهم النصر لولا سیف علی علیه السلام فی ذلک الیوم، وفی غیره من أیَّام المسلمین، فأین تشدّقک فی الکثیر من خطبک وکلماتک عبر الإنترنت وغیره بحبّ علی، وبأنَّک الموالی له والمحبّ، والمبغض لعدوه؟؟ وهل ینفتل المحبّ عن ذکر محبوبه؟؟

أم هل یقدر المحبّ علی أن لا یطیع محبوبه؟ بل یری اللذَّة کل اللذَّة ومنتهی الکمال أن یتوصل لإداء فرض المحبَّة من الطاعة والولاء، ألیس کذلک أیها المحبّ الواله!!؟

الموقف الرابع: ما یتعلّق بصلح الحدیبیَّة:

اشارة

لقد وقع صلح الحدیبیَّة فی السنة السادسة من الهجرة، ومنشأ ذلک: أنَّ النبی صلی الله علیه و آله قد رأی رؤیا أنَّه دخل البیت، وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البیت، وعرَّف مع المعرِّفین، فخرج ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه، وکان خارجاً قاصداً للعمرة لا الحرب، فمنعته قریش من دخول مکَّة، وتمَّت المراسلات بینهم حتی تمَ

ص: ۹۳

الصلح المذكور، وكان الكاتب للصلح هو على عليه السلام (۱) ۱۴۷، فكان سلام اللّه عليه هو مبعوث الرسول صلى الله عليه و آله إلى قريش (۲) ۱۴۸، وكان الصلح بشروط معينة مذكورة فى محلها.

وهنا عدَّة مقاطع:

المقطع الأول: الفتح المبين إرادة اللّه ونظر الصحابة

قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.. سورة الفتح: ۱- ۲.

والمراد أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ سيرزقك الفتح المبين مستقبلًا، وهذا الصلح مقدمةً له ليس إلا، بل هو الفتح واقعاً حيث إنَّ قريش اعترفت بوجود مستقل للنبى صلى الله عليه و آله، ولرسالته وللقوة التى عنده، فاضطرت للمصالحة معه والمهادنة لمدَّة عشر سنين، فجرى الصلح كما أراد النبى بإرادة اللّه، ولكنَّ قِصَر نظر البعض أوجب امتناعهم عن ذلك وتأبيهم عن قبوله، فصدر منهم ما أغضب الرسول، فاستمع لهذا الكاتب ما يقول: «الاشتياق إلى مكَّة يفوق

۱- روى فى المصنف ۵/ ۳۴۳ رقم ۹۷۲۱ عن عكرمة بن عمار قال: أخبرنا أبو زميل سماك الحنفى أنَّه سمع ابن عباس يقول: كاتب الكتاب يوم الحديبيَّة على بن أبى طالب وقال معمر: سألتُ الزهرى فضحك وقال: هو على بن أبى طالب ولو سألت عنه هؤلاء- يعنى بنى أميَّة- لقالوا: عثمان

۲- تاريخ الطبرى: ۲/ ۶۳۰

ص: ۹۴

الوصف، وقد بُشِّروا بدخولها، ولكنَّ محبَّتهم للرسول وطاعته والتأسى به والزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند اللّه هى سمة ذلك الجيل» (۱) ۱۴۹.

واقرأ ما نتلوه عليك هنا لترى صحَّة دعواه من كذبها:

۱- روى البخارى أنَّ عمر بن الخطاب كان يسير مع النبى صلى الله عليه و آله ليلًا فسأله عمر عن شىءٍ فلم يُجبه رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ثمَّ سأله فلم يجبه، ثمَّ سأله فلم يجبه، فقال عمر- يخاطب نفسه-: ثكلتك أمُّك يا عمر؛ نزرت رسول اللّه صلى الله عليه و آله ثلاث مرات كلّ ذلك لا يجيبك.

قال عمر: فحركتُ بعيرى ثمَّ تقدمتُ أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فىَّ قرآنٌ، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بى، قال: لقد خشيتُ أن يكون نزل فىَّ قرآنٌ، فجئت رسول اللّه فسلَّمت عليه، فقال: لقد أنزلت علىَّ الليلة سورة لهى أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس، ثمَّ تلا: إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحَاً مُبِينَاً* (۲) ۱۵۰.

۱- صحبة رسول اللّه: ص ۲۹- ۳۰

۲- قد حكى هذه النسبة للبخارى الكثير من المصادر، ولكنَّنا لم نعثر عليهافى الموضع المحتمل وجود الرواية فيه وهو: ۲/ ۹۷۸، ولكنَّ كل من ذكر الرواية نسبها للبخارى، فلعلها حُذِفت من الطبعات الجديدة، ومنها: تفسير القرطبى: ۱۶/ ۲۵۹ نقلها بلفظ البخارى وفيه: ثكلت أم عمر، تفسير ابن كثير: ۴/ ۱۸۴ وفيه: تقدمتُ مخافة أن يكون نزل فىَّ شىء، مسند أبى يعلى: ۱/ ۱۳۸، البداية والنهاية: ۴/ ۱۷۶، الإمتاع: ص ۳۰۲

ص: ۹۵

۲- قال فی الدرر الکامنة (۱) ۱۵۱: عظم الصلح علی نفر من المسلمین حتی کان لبعضهم فیه کلام.

أقول: ولم یصرح بهذا البعض مَنْ هو؟ تحاشیاً عن ذکر اسمه لئلا یستلزم منقصة توجب زوال الهالة القدسیَّة حوله، لکونه من کبار الصحابة، مع عدم توجههم إلی أنَّ ذلک الشخص یعترف علی نفسه بذلک، ولا یجد فی نفسه مانعاً عن ذکر هذا الکلام عنه.

۳- روی البخاری (۲) ۱۵۲: قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتیتُ نبی اللَّه صلی الله علیه و آله.

فقلتُ: ألستَ نبی اللَّه حقاً؟ قال: بلی.

قلتُ: ألسنا علی الحق وعدونا علی الباطل؟ قال: بلی.

قلتُ: فلمَ نعطی الدنیَّة فی دیننا إذاً؟ قال: إنی رسول اللَّه، ولست أعصیه وهو ناصری.

قلتُ: أو لیس کنت تحدثنا أنَّا سنأتی البیت فنطَّوّف به؟ قال:

بلی، فأخبرتک أنَّا نأتیه العام؟

ثمَّ خرج من عنده وجاء أبا بکر وحدّثه بما حدّث به النبی صلی الله علیه و آله

۱- الدرر الکامنة: ۱/ ۱۹۳

۲- صحیح البخاری: ۲/ ۹۷۸ برقم ۲۵۸۱، صحیح مسلم: ۳/ ۱۴۱۱، واللفظ هنا للبخاری

ص: ۹۶

فأجابه بما أجابه. قال الزهرى: قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالًا!!! (۱) ۱۵۳ ۴- قال الواقدى فى مغازيه:... جعل عمر يرد الكلام على رسول اللّه... (۲) ۱۵۴ ۵- وفى نفس المصدر السابق: ارتبتُ ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلا يومئذٍ، وراجعتُ النبى مراجعة ما راجعته مثلها قط، ولو وجدتُ ذلك اليوم شيعةً- وفى رواية مائة- على مثل رأيى، تخرج عنهم رغبة عن القضيَّة لخرجتُ (۳) ۱۵۵.

وفى هذا الكلام دلالة واضحة على الرغبة فى التمرد على قرار النبى بالصلح، ولكنَّ المشكلة هى عدم وجود الأنصار.

۶- ذكرنا سابقاً: أنَّ النبى صلى الله عليه و آله أمر الصحابة بعد الصلح أن يحلقوا وينحروا هديهم، فلم يقم أحدٌ منهم، فدخل إلى أمّ سلمة شاكياً لها حال أصحابه، فقالت: لا عليك منهم، اخرج واحلق.

۱- قال ابن أبى الحديد فى شرح النهج ۱/ ۵۹: إنَّ من الأعمال التى عملها أن قطع شجرة الرضوان التى بايع الناس عندها رسول الله، وكان المسلمون يأتونها فيتبركون بها، وقال السيوطى فى تفسير هذه الآية: قال عمر: ما شككتُ إلا يومئذٍ.

أقول: إنَّ متعلق الشك غير مذكور فلعله أبهم، والإبهام للتعميم والتعظيم!!

۲- كتاب المغازى: ۲/ ۶۰۶

۳- مغازى الواقدى: ۲/ ۶۰۷

ص: ۹۷

فخرج وحلق وذبح، فقاموا متثاقلین الواحد تلو الآخر، فحلق جماعهٔ وقصَّر آخرون (۱) ۱۵۶، منهم عثمان بن عفَّان (۲) ۱۵۷.

۷- وبعد ذلک الصلح قال رسول اللَّه: یرحم اللَّه المحلِّقین. قالوا:

والمقصِّرین؟

قال: یرحم اللَّه المحلقین. قالوا: والمقصرِّین؟

قال: یرحم اللَّه المحلقین. قالوا: والمقصرِّین؟

قال: والمقصرین. قالوا: یارسول اللَّه؛ فلمَ ظاهرتَ الترحّم للمحلِّقین دون المقصرِّین؟ قال: لأنَّهم لم یَشُکُوا (۳) ۱۵۸.

المقطع الثانی: السکینهٔ عامهٔ أم خاصّهٔ ...؟

قوله تعالی: هُوَ الـذِّی أَنْزَلَ السَّکِینَهَ فِی قُلُوبِ المُؤمِنِین لِیَزْدَادُوا إیمَانَاً مَعَ إیمَانِهِم وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَکَانَ اللَّهُ عَلِیمَاً حَکِیمَاً الفتح: ۴.

لیس من الأمور الخافیهٔ أنَّ السکینهٔ التی أنزلها اللَّه هی فی قلوب المؤمنین، لا فی قلوب کل الصحابهٔ، کما یمکن لهذا الکاتب

۱- البدایهٔ والنهایهٔ: ۴/ ۱۶۹

۲- مسند أحمد: ۳/ ۸۹ حدیث ۱۱۸۶۵، طبقات ابن سعد: ۲/ ۱۰۴

۳- مسند أحمد: ۱/ ۳۵۳ حدیث ۳۳۱۱، تاریخ الطبری: ۲/ ۶۳۷، البدایهٔ والنهایهٔ: ۴/ ۱۶۹، وفی روایهٔ قال مالک بن ربیعهٔ: وأنا محلوق یومئذٍ فما سرَّنی حمر النعم أو خطر عظیم، الطبقات لابن سعد: ۲/ ۱۲۴

ص: ۹۸

أن يـدعيه، إذ أنَّه قـد مرَّ عنـدنا سابقـاً- عبر بعض الآيـات- نفيُ الإيمـان عن بعض الصـحابة واقعـاً، وإن كانوا محكومين بالإيمان على حسب ما يُظهِرُونَهُ أمام المؤمنين.

كما أنَّ منهم مرضـى القلوب الـذين تحـدث القرآن عنهم فى آيات متعددة: وأمَّا الذِّينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُم رِجسَاً إلَى رِجْسِهِم (۱) ۱۵۹، أفى قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا (۲) ۱۶۰، فترى الذين فى قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم (۳) ۱۶۱.

فهل أنَّ السكينة التى أُنزِلَت عمَّتهم كلَّهم أيُّها الكاتب؟ وقد رأينا أنَّ منهم الشاكَّ، ومنهم المرتابَ، ومنهم المنافِق، والمثبِّط، و.. و..؟

المقطع الثالث: بيعة الرضوان الأمل والمآل

قوله تعالى: لَقَدْ رَضِى اللَّهُ عَنْ المُؤمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَکَ تَحْت الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِم فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم وَأَثَابَهُم فَتْحَاً قَرِيبَاً

تتعرض هذه الآية لما وقع من بيعة الرضوان تحت الشجرة المعروفة بشجرة الرضوان، والتى قدَّمنا سابقاً أنَّ الخليفة الثانى

۱- التوبة: ۱۲۵

۲- النور: ۵۰

۳- المائدة: ۵۲

ص: ۹۹

قطعها بعد ذلك وفاءاً لوعده الذى ضربه على نفسه فى صلح الحديبيَّة بقوله: «فعملتُ لذلك أعمالًا».

حدَّث سلمة بن الأـكوع فقال: بينما نحن قافلون من الحديبيَّة نادى منادى النبى صلى الله عليه و آله: أيّها الناس؛ البيعة.. البيعة، قال: فسرنا إلى رسول اللَّه، وهو تحت شجرة سمُرَة، فبايعناه، وذلك قول اللَّه عزَّوجلَّ: لَقَدْ رَضِیَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

كما قد ذُكِرَ فى سبب نزولها: أنَّ الرسول صلى الله عليه و آله حين نزل الحديبيَّة بعث جوَّاس بن أميَّة الخزاعى رسولًا إلى أهل مكَّة، فهمُّوا به، فمنعه الأحابيش، فلمَّا رجع دعا عُمَرَ ليبعثه فقال: إنِّى أخافهم على نفسى، لِمَا عُرِف من عداوتى إيَّاهم، وما بمكَّة عَدَوِىٌ يمنعنى، ولكن أدلُّك على رجلٍ هو أعزّ بها منى وأحبّ إليهم: عثمان بن عفَّان فبعثه...» (۱) ۱۶۲ ولقد حاول هذا الكاتب أن يثبت أنَّ الصحابة كلَّهم ممدوحٌ، وكلَّهم عدولٌ من خلال هذه الآية، بقرينة أنَّ الرضا فى الآية عامٌّ شاملٌ لكلِّ الصحابة، ولكنَّ ما رامه ليس ممَّا يمكن إثباته من هذه الآية فضلًا عن غيرها من الآيات لوجوه:

أوّلًا: إنَّ متعلق الرضا فى الآية هم «المؤمنون» وليس

۱- تفسير الكشاف: ۴/ ۳۳۹، وأخرجه أحمد من رواية عروة عن المسور ومروان

ص: ۱۰۰

الصحابة لفظاً ولا معنى، وذلك لعدم اعتبار كل الصحابة مؤمنين، وهذا مسلَّم حتى بالنسبة للكاتب لو أعطى التأمل حقَّه، فالمرضيُّ عنه مَن تعنون بعنوان المؤمن، وليس من اتصف بأنَّه من الصحابة، وإن كان المؤمنون من الصحابة، لكن قد ثبت أن فى الصحابة من خرج عن الإيمان، فلا تنافى بين الأمرين.

ثانياً: قد اعترف الكاتب بأنَّ منادى الجهاد نادى: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة، فممَّن خرج معهم جابر بن عبد اللَّه وهو من الذين لم يشهدوا المعركة معهم (۱) ۱۶۳، لكنَّه من المؤمنين حقاً فلم يمانع النبى فى حضوره معهم، وذلك لمعرفته به.

وممَّن كان فى بيعة الرضوان عبداللَّه بن أبى، رئيس المنافقين، ومن المعروف المسلَّم أنَّ عبد اللَّه هذا ممَّن شهد البيعة.

وممَّن حضر البيعة أيضاً الحرقوص بن زهير السعدى أو التميمى، وهذا صار من رؤوس الخوارج بعد ذلك، بل هو الذى قال للنبى، «اعدل يا محمد»، وقد تقدم منَّا ذلك.

ثالثاً: إنَّ متعلق الرضا فى الآية مبهم، وعلى هذا فلا يمكن لنا ولا له بأن نحدد متعلق الرضا ما هو؟

ولكنَّ الذى يمكن البحث فيه هو أنَّ الإهمال لمتعلق الرضا لا يمكن من قبل الحكيم تعالى، حيث يلزم أن يكون صدور الرضا

۱- صحبة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ص ۲۶

ص: ۱۰۱

منه تعالى عنهم سواء فعلوا ما يوجبه أو لا- وكذا الإطلاق غير ممكن فى المقام، وذلك للزوم أن يصدر الرضا منه تعالى عنهم حال صدرو أى فعل، وفى كل زمان- الماضى والحاضر والمستقبل- وكلّ مكان، وهذا ما لا يلتزم به عاقلٌ، خاصَّة مع ملاحظة آيات العذاب لبعضهم وما نزل فيهم، وتكفينا شاهداً على هذا سورة الفاضحة- التوبة-.

إذن؛ فليس إلا تقييد الرضا، فلابدَّ من كون الرضا مقيَّداً بالرضا فى زمان خاصٍّ وعن فعل مخصوص فى ظرف قد اختصَّ به، والمرضىُّ عنهم جماعةٌ خاصَّة كما نصَّت عليه الآية، علاوة على كون ذلك غايته ذلك الزمان، دون ما بعده من الزمان.

إذن؛ فلا دلالة فى الآية على شىء من الإطلاق ممَّا يروم إثباته هذا الكاتب.

المقطع الرابع: من هم السابقون

قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِن المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار وَالـذِّينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوْا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً ذلِك الفَوْزُ العَظِيم التوبة: ۱۰۰.

لقد حاول الكاتب جاهداً إقناع القارىء بأنَّ الصحابة لا يمكن أن تصل لساحتهم أقلام النقد والطعن من أى أحدٍ، بل

ص: ۱۰۲

تشدق بمنع خيال المتخيل للطعن، وهو من المبالغة المفضوحة، خاصة مع وجود القرائن على صحة نقد الناقد، بل واقعيَّة ذلك فى حد ذاته، وباعتراف كبراء القوم به.

بل الآيات التى بعدها والتى قبلها تؤلِّف منظومة واحدة فى المعنى الذى نروم بيانه، من عدم استواء عدالة الصحابة وإخلاصهم وإيمانهم على درجة واحدة.

فياترى إلى متى نظل نكابر عقولنا ووجداننا؟

وعلى كل حال فهاك بعض الكلمات حول هذه الآية، تنفع فى ردّ ما ذكره وإثبات ما ما منع من تحققه، فضلًا عن تصوره، فضلًا عن تخيله:

أوّلًا: إنَّ الحكم المذكور فى الآية هو- كما يقول العلماء- من القضايا الخارجيَّة، أى من الوقائع الخاصة الشخصيَّة المختصة بأشخاص بأعيانهم، ومثل هذه القضايا لا يمكن تحصيل حكم كلى منها.

فالسابقون جماعة خاصة، والمهاجرون كذلك، والذين اتبعوهم بإحسان مثلهم، لكن هم ليسوا كل متبع لهم، بل خصوص من اتبعهم باختيار منهم وإحسان، فلا تشمل الآية المتبع لهم عن كراهية وقهر، أو المتبع لهم لأغراض دنيويَّة.

هذا بالنسبة للموضوع.

بل حتى لو كانت من القضايا الحقيقيَّة لم تنفع هذا الكاتب فى

ص: ۱۰۳

شیء من أمر مدعاه، وذلک لثبوت خروج بعض الأفراد عنها قطعاً، وقد قال أهل الاختصاص یکفی لنقض الموجبة الکلیَّة ثبوت السالبة الجزئیة.

فما یدَّعیه من ثبوت الرضا لکل الصحابة مطلقاً، وما یدّعی لنقض هذه الکلیَّة ثبوت أنَّ بعض الصحابة ممَّن سبق فی الهجرة أو من الأنصار قد فعل ما یوجب غضب اللَّه علیه، ولو بتوسط غضب نبیِّه کما فی روایات کثیرة.

وهذا ثابت بالنصوص الکثیرة حول بعض الأشخاص، کما مرَّ منَّا ذکر بعض الروایات المثبتة لذلک عنهم، فلا تبقی للقضیة الکلیَّة التی یریدها دعامة إلا وانهدَّ ت.

ثانیاً: وأمَّا بالنسبة لمحمول القضیَّة فالرضا الذی منهم عن اللَّه لا ینفع المستدل فی شیء ممَّا یروم إثباته (۱) ۱۶۴.

وأمَّا الرضا الذی من اللَّه عنهم فعمومه لجمیعهم هو محل الکلام، فإنَّه من الأمور التی تتَّسع وتضیق علی حسب متعلَّق الرضا، فإن کان وسیعاً عاماً کان الرضا کذلک، وإن کان ضیقاً فهو کذلک أیضاً.

۱- وذلک لوضوح اختلاف متعلق الرضا بین رضا اللَّه عزَّ وجلَّ ورضا الناس، بل حتی لو عرف متعلق رضا اللَّه لم یُجدِ، إذ أنَّ رضاهم عن اللَّه وعن نبیه صلی الله علیه و آله من الواجب علیهم تحصیله ووظیفة مطلوبة منهم، بینما رضا اللَّه عنهم کان محض تفضل وامتنان منه تعالی علیهم

ص: ۱۰۴

وهنا نجد أنَّ الرضا قد صدر عن خصوص مَنْ سبقت له الهجرة، بل ليس كلّ من سبقت له الهجرة، وإنَّما خصوص الأوائل منهم، وثابت لمن سَبَقَتْ منه النصرة للنبى صلى الله عليه و آله، لا لكل صحابى من الأنصار.

بل يمكن لنا القول بأنَّ الهجرة الممدوحة والمرغوب فيها من قبل اللَّه عزَّ وجلَّ هى خصوص الهجرة إلى اللَّه وفى اللَّه، كما فى قوله تعالى: الذِّينَ هَاجَرُوا فِى اللَّهِ.. (۱) ۱۶۵ وقوله تعالى: وَمَنْ يَخْرُج مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكهُ المُوتُ.. (۲) ۱۶۶.

وهكذا أكثر الآيات الذاكرة للهجرة أو النصرة، كما فى قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بن مَرْيَم لِلحَوَارِيينَ مَن أَنْصَارِى إِلَى اللَّه (۳) ۱۶۷.

ثالثاً: يمكن النقض على هذا المدَّعى ببعض الآيات الأخر التى لا يمكن له الالتزام بها، ففى مثل قوله تعالى: الذِّينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ...، فهذه تثبت المدح بالصلاة من اللَّه على كل من أصابته مصيبة فقال هذا القول، ولو كان القائل غير مؤمنٍ.

۱- النحل: ۴۱

۲- النساء: ۱۰۰

۳- الصف: ۱۴

ص: ۱۰۵

فما يتشدق به هذا الكاتب من مدحٍ مدَّعى للصحابة، وقد استفاده من الآية، ليس ممَّا يوجب اختصاصاً لهم بالمدح دون غيرهم من الناس.

وكذا فى قوله تعالى: قَالَ اللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُم لَهُم جَنَّات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الفَوز العَظِيم (۱) ۱۶۸.

وقوله تعالى: إنَّ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ وَالمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَات وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاشِعِين وَالخَاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرَاً وَالذَّاكِرَاتِ أعدَّ اللَّهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمَاً* (۲) ۱۶۹.

فهل يلتزم الكاتب بثبوت الرضا لكل من كان صادقاً ولو لم يكن جامعاً للصفات الأخرى الموجبة لدخول الجنَّة والخلود فيها؟

وهل يقبل الكاتب أن يكون كل من تحصَّل على واحدة من هذه الصفات، المذكورة فى الآية الثانية يكون مستحقاً للمغفرة والأجر العظيم، ولو لم يكن جامعاً للصفات المعتبرة فى المستحق

۱- المائدة: ۱۱۹

۲- الأحزاب: ۳۵

ص: ۱۰۶

للمغفرة ممَّا لم يـذكر فى الآيـة، كصـفة الثبات فى القتال وعـدم الفرار من الزحف، وصـفة الإطاعة للَّه وللرسول والوفاء بالعهد والأمانة والانصياع لأوامره ونواهيه، وصفة المصلى المؤدى للحج و.. و.. و، فهل يلتزم الكاتب بهذا هنا؟

وكل ما يجيب به على هذا نجيب به على مدَّعاه فى الآية.

رابعاً: قد اختلف فى المراد بالسابقين من المهاجرين، مَنْ هم؟

فقيل: إنَّهم من صَلَّوْا القبلتين.

وقيل: الذين شهدوا معركة بدر.

وعن الشـعبى: من بايع بيعة الرضوان ما بين الهجرتين، ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين (۱) ۱۷۰.

وعلى كـلّ حـال: فسواء جعلنـا المهاجرين والأنصار مِصْدَاقَىْ «السابقون» بكسـر كلمـة الأَنْصَارِ أو جعلنا الأنصار معطوفاً على السَّابِقُون فيرتفع، فيكون قسماً آخر فى مقابل السَّابِقُون فهذا لا يغيّر فى النتيجة شيئاً، وذلك لأمرين:

۱- أنَّ موضوع السَّابِقُون مجمل غير مبيَّن، حيث قـد تقـدم اختلاف المفسـرين فى المراد بهم من هم؟ أو هو مبيَّن ولكنَّه خاص بطائفة منهم، لا أنَّه لكل الصحابة.

۱- تفسير الكشاف: ۲/ ۳۰۴

ص: ۱۰۷

۲- أنَّ الأنصار لا يمثّلون كلّ الصحابة، فثبوت تعلق الرضا بهؤلاء أو بجميعهم لا يوافق مدَّعى الكاتب من عدالة كل الصحابة- مهاجرةً وأنصاراً- كما لا يخفى، خاصَّة مع وصف المهاجرين بأنَّهم الأولون، وأوَّل من أسلم هو على بن أبى‌طالب عليه السلام.

فإنَّ العرب تستعمل فى كلامها لفظ الجمع وتريد به شخصاً واحداً.

وقد وردت بعض الروايات المفسرة للآية- موضع البحث- بأفراد معينيين، وهذا واضح.

خامساً: يمكن النقض على المستدل بالآية على عموم الرضا لكل الصحابة، وهو هذا الكاتب وأمثاله:

بأنَّ هذه الآية مع تحديد السابقين فى الهجرة بما بين البيعتين، أو ما كان قبل معركة بدر؛ بعدم شمولها للمهاجرين فى السنة السابعة وما بعدها، إذ أنَّ بيعة الرضوان كانت فى السنة السادسة من الهجرة، وكذا مِن الأنصار مَنْ تأخرت نصرته للنبى صلى الله عليه و آله عمَّن كانوا أوَّل قدوم النبى المدينة، فإنَّهم ليسوا من السابقين فى النصرة، فلا تكون شاملة لكل الصحابة (۱) ۱۷۱.

۱- وقد سبق أن قلنا بأنَّ نقض الموجبة الكليَّة يكفى فيه ورود السالبة الجزئيَّة

ص: ۱۰۸

سادساً: ليس من الممكن أن تـدل الآيـة على عدالـة كل الصـحابة؛ وذلك لكون الآية فى سورة التوبة، وهى مدنيَّة بعد ظهور الإسـلام وعلوِّ شأنه، ولـذا اشـتملت هـذه السورة على فضـح الكثير من أعمال المنافقين حتى كان البعض منهم كلَّما رأى حذيفة يسأله: هل نزل فىَّ شىءٌ خوفاً من فضحهم (۱) ۱۷۲، ولذا فمن أسماءها الفاضحة.

فياترى: هل يمكن الالتزام ببقاء الرضا عنهم من قِبَل اللَّه حتى بعد ذلك، ولو فعلوا ما فعلوا من مخالفات شرعيَّة فى حياة النبى صلى الله عليه و آله أو بعد وفاته صلى الله عليه و آله؟

هذا ما لا يمكن الالتزام به من أى عاقل فضـلًا عن عالم، وقد سبق منَّا ذكر بعض الأمور التى جرت بين الصحابة أنفسهم، أو بينهم وبين النبى.

ومن أهم ما جرى بينهم وبين النبى فيما بعد هذه الآيات حادثة الدواة والكتف، وحادثة تنفيذ جيش أسامة، بل أعظمها على

۱- بـل حتى المبلِّغ لهـا أولًـا- وكان أبو بكر- لمَّا أن أرسل النبى صـلى الله عليه و آله أمير المؤمنين عليه السـلام ليأخـذها منه، ويبلغها أهل مكة سأله أبو بكر: أأمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور من النبى صـلى الله عليه و آله، فرجع أبو بكر إلى النبى صلى الله عليه و آله وهو يبكى ويقول: أنزل فىَّ شىء يارسول اللَّه؟ قال: لا يُبَلِّغ عن اللَّه إلا أنا أو رجل منى.

أقول: فهل بعد بيان هذه المنزلة والتفضيل لعلى عليه السلام بيانٌ؟

فما لكم كيف تحكمون؟؟

ص: ۱۰۹

القلب، وهو محاولة اغتيال النبى فى قضيَّة دحرجة الدِّباب.

فأمَّا الحادثة الثانية: فقد رواها لنا البخارى فقال: بعث رسول اللَّه بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس فى إمرته! فقام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: إن كنتم تطعنون فى إمرته فقد طعنتم فى إمرة أبيه من قبل، وأَيْمُ اللَّه إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلىَّ، وإنَّ هذا لمن أحب الناس إلىَّ بعده (۱) ۱۷۳.

وأمَّا الحادثة الأولى: فقد حدَّث البخارى بها كذلك، فلنستمع له يحدثنا بها كما رويت له: لمَّا اشتدَّ بالنبى صلى الله عليه و آله وجعه قال:

ائتونى بكتاب أكتبُ لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إنَّ النبى صلى الله عليه و آله غلبه الوجع، وعندنا كتاب اللَّه حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط! قال: قوموا عنى، ولا ينبغى عندى التنازع، فخرج ابن عباس يقول: الرزيَّة.. كل الرزيَّة ما حال بين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وبين كتابه (۲) ۱۷۴.

وحدَّث بها مسلم فى صحيحه هكذا: اشتدَّ به صلى الله عليه و آله وجعه فقال:

ائتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا.

۱- صحيح البخارى: ۶/ ۲۴۴۴ برقم ۶۲۵۲، صحيح مسلم: ۴/ ۱۸۸۴، الطبقات: ۲/ ۱۸۹

۲- صحيح البخارى: ۱/ ۵۴ برقم ۱۱۴

ص: ۱۱۰

فقال بعضهم: إنَّ رسول اللَّه يهجر (۱) ۱۷۵ استعيدوه... (۲) ۱۷۶.

وفی روایـة ثالثة: قال عمر: إنَّ النبی صـلی الله علیه و آله قد غلبه الوجع، وعندکم القرآن وحسـبنا کتاب اللَّه، مَنْ لفلانة وفلانة؟- یعنی مدائن الروم، إنَّ النبی صلی الله علیه و آله لیس بمیّت حتی یفتحها، ولو مات لانتظرناه کما انتظرت بنو إسرائیل موسی» (۳) ۱۷۷.

فلغطوا واختصـموا، فمنهم من یقول ما قال عمر (۴) ۱۷۸، ومنهم من یقـول: قرِّبُوا یکتب لکم رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله کتابـاً لن تضلُّوا بعده أبداً.

فلما أکثروا اللغط وغمُّوا رسولَ اللَّه قال: قوموا عنی (۵) ۱۷۹.

فهذه نماذج ممَّا جری مع النبی صـلی الله علیه و آله من الصـحابة، بل من کبراءهم، بل من السابقین- عندکم- الأوَّلین من المهاجرین، کل هـذا فی أواخر أیَّام حیاته، فکیف بما بعـد وفاته من أمور وحوادث نصـفح عنها تنزهاً، وحفاظاً علی القارىء المحترم عن الملالـة، وإعادة ذکر ما هو من المسلَّمات فی التاریخ والحدیث، ممَّا جری

۱- یهجر من الهجر أی الهذیان، وذلک بسبب شدة المرض، فیقول ما لا یدرک

۲- صـحیح مسلم: ۳/ ۱۲۵۹، ویظهر منهـا أنَّ مسـلم أکثر تحاشـیاً عن ذکر ذاک القائـل من البخاری حیث حرَّف الروایـة هنا فقال: قال بعضهم..

۳- إمتاع الأسماع للمقریزی: ۵۴۶

۴- صحیح البخاری: کتاب العلم: ۱/ ۵۴

۵- صحیح مسلم: ۳/ ۱۲۵۹

ص: ۱۱۱

منهم على ابنة نبيِّهم الزهراء البتول، وزوج ابن عمِّ الرسول عليها السلام (۱) ۱۸۰.

والخلاصة أنَّنا لا ننكر فضلًا للصحابة أثبته اللَّه لهم، ولكن ليس لكل من يدَّعى أنَّه من الصحابة مثل ذلك الفضل، بل للبعض منهم فقط، بل إنَّ بعضهم ممَّن أساء للنبى صلى الله عليه و آله، فهل نعدُّ إساءته فضلًا؟

وأخيراً..: لا يفتأ هذا الكاتب يفهم الأشياء فهماً معكوساً على أثر عدم معرفته بمصطلحات العلوم كالمنطق وأصول الفقه، وحتى مداليل اللغة: فهو يقول: «انظر إلى العموم فى قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُون، ولا نعلم أى عموم فيه!

ويقول: مِنْ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار نعم الذين هاجروا مع النبى والذين نصروه هم السابقون...»؟!!.

عجباً؛ كيف يعكس المعنى؟ فالآية تُخصص الرضا بمن سبقت منه الهجرة، وبمن سبقت منه النصرة، وهذا يقول كل مَنْ تحققت منه الهجرة، وكل من تحققت منه النصرة فهو مشمول بالحكم

۱- ولقد كتب العلماء كثيراً فى هذه الواقعة بما يثبت صدورها عنهم بعد موت النبى مباشرةً؛ فارجع لكتاب تشييد المطاعن للسيد ناصر حسين، وكتاب الهجوم على بيت فاطمة، وكتاب المحسن بن فاطمة، وكتاب أين الإنصاف؟ وكتاب محنة فاطمة، وغيرها من الكتب والمؤلّفات

ص: ۱۱۲

بالرضا.

فانظرْ للفرق بين المعنيين!! وانع- أيُّها القارىء- على هذا الكاتب فهمه للعبارة العربيَّة.

الموقف الخامس: ما يتعلّق بغزوة تبوک: شواهد من مشاهد

إنَّ من مميزات سورة التوبة أنَّها من آخر ما نزل على النبى من السور؛ فقد كانت فى السنة التاسعة من الهجرة، وكان أكثرها لفضح المنافقين ومرضى القلوب، وكانت غزوة تبوک بخروج النبى صلى الله عليه و آله من المدينة لمحاربة الروم، وللثأر لجعفر بن أبى طالب ومن مات معه من المؤمنين فى معركة مؤتة، وكان عدد مَن معه ثلاثين ألف رجل، منهم عشرة آلاف فارس، ولكن انفصل- فى موضع خارج المدينة- عبداللّه بن أبى بمجموعة من الجيش يقدر بالثلث، وصاروا يُثبِّطون الخارجين مع النبى صلى الله عليه و آله عن الخروج معه.

ثمَّ إنَّ الآيات التى وردت فى حق هذه الغزوة يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

الأول: ما يشير لتثاقل الناس عن الخروج للجهاد بعد ثرائهم واشتغالهم بأموالهم وأعمالهم، قال تعالى: يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا مَالَكُم إذَا قِيلَ لَكُم انفِرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إلَى الأَرْضَ

ص: ۱۱۳

أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الـدُّنيَا مِن الآـخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الـدُّنيَا فِی الآخِرَةِ إلَّا قَلِيلٌ* إلَّا تَنْفِرُوا يُعَـذِّبْكُم عَـذَابَاً أَلِيمَاً وَيَسْـتَبْدِلْ قَوْمَاً غَيْرَكُم وَلا تَضُرُّوهُ شَيئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شیءٍ قَدِيرٌ* التوبة: ۳۸- ۳۹.

وقال تعالى: لَوْ كَانَ عَرَضَاً قَرِيبَاً وَسَـفَراً قَاصِـدَاً لاتَّبَعُوكَ وَلكِن بَعُدَت عَلَيْهِم الشُّقَّةُ وَسَـيَحْلِفُونَ بِاللَّه لَو اسـتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُم يُهلِكُونَ أَنْفُسَهُم وَاللَّهُ يَعْلَمُ إنَّهُم لَكَاذِبُون التوبة: ۴۲.

ففی هـذه الآيات عتاب شديـد من اللَّه عزَّ وجلَّ للصـحابة على عدم نفرهم لمَّا اسـتنفرهم الرسول صـلى الله عليه و آله، وتعييرٌ مع تبيين لواقع حالهم بأنَّهم قد رضوا بالحياة الدنيا وبِلَذَّاتِها، وفضَّلوا ذلك على نعيم الآخرة وجنَّاتها.

ثمَّ تهديد ووعيد شديد اللهجة منه تعالى لهم بأنَّه إن لم تنفروا ينزل عليكم العذاب الأليم، ولا تكونوا مستحقين لصحبة مثل هذا النبى العظيم فيستبدل قوماً غيركم، وليس فى ذلك أدنى ضرر عليه.

فياترى: هل أنَّ هذا العتاب والتهديد منه تعالى كان للصحابة أم كان للكفار أو للمنافقين؟؟

ولمزيد تأكيد واقع حالهم يبين حقيقة نواياهم بأنَّ همَّتهم قد ضعفت وصارت إلى درجة أنَّهم يستحبون السفر القريب و

ص: ۱۱۴

المغنم الواضح المقصود، وأمَّا مع بُعدُ الشُّقَّة عليهم فيتطلبون المعذرة منك لعدم استطاعتهم ذلك، بل يُقسِمُونَ على هذا، مع علم اللَّه بكذبهم.

الثانى: ما يتعلَّق بالمقابلة بين ما يجب على المسلمين والمؤمنين عمله لأجل التهيؤ للجهاد، وما صَدَرَ منهم فى الخارج:

قوله تعالى: انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالًا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنْفُسِكُم فِى سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُم خَيْرٌ لَكُم إنْ كُنْتُم تَعْلَمُون التوبة: ۴۱.

وقوله تعالى: وَإذَا أُنْزِلَت سُوْرَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَع رَسُولِهِ استَأْذَنَکَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُم وَقَالُوا ذَرْنَا نَکُنْ مَعَ القَاعِدِينَ* رَضُوا بِأَن يَکُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ* التوبة: ۸۶- ۸۷.

فهذه الآيات تبين ما كان مفترضاً أن يقوم به المسلمون من النفر للجهاد وبذل الغالى والنفيس من المال والنفس والولد.

ولكنَّ الأمر المؤسف ما عبَّرت عنه الآية الثانية من تثاقلهم واعتذارهم بطريقة شبه مؤدبة؛ وهى الاستئذان منك فى عدم الخروج، فنزل القرآن مُبَكِّتاً لهم، وذامَّاً لفعلهم، بعدم الفقه لأمر هذا الدين، وأهميَّة الجهاد فى سبيله.

فياترى- أيها الكاتب المحترم- هل أنَّ هؤلاء من الصحابة أم من غيرهم؟ ألا بربِّك قل لى.

ص: ۱۱۵

الثالث: ما يتعلق بأمر المنافقين وهو آيات كثيرة نذكر منها:

قوله تعالى: وَمِنْهُم الذِّينَ يُؤذُونَ النَّبِى وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُم يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤمِنُ لِلمُؤمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلذِّينَ آمَنُوا مِنكُم وَالذِّينَ يُؤذُونَ رَسُولَ اللَّه لَهُم عَذَابٌ أَلِيم التوبة: ۶۱

يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أنْ تَنْزُلَ عَلَيْهِم سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِم قُلِ استَهْزِؤا إنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ* وَلَئِن سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَستَهزؤن* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمَانِكُم إنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُم نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُم كَانُوا مُجرِمِينَ* التوبة: ۶۴- ۶۶.

وقوله تعالى: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إسْلَامِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقِمُوا إلَّا أَنْ أَغْنَاهُم اللَّهُ وَرَسُولُه مِن فَضْلِهِ فَإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُم وَإنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُم اللَّهُ عَذَابَاً أَلِيمَاً فِى الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم فِى الأَرْض مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ* التوبة: ۷۴.

ففى هذه الآيات صفات للمنافقين ممَّن صحَّت منه الصحبة للنبى، ولو لفترةٍ ما، وآمن به وروى عنه، ثمَّ صدر منهم النفاق، ولكنَّ كل ذلك لم يمنع اللَّه عزَّ وجلَّ من أن يُنزِل فيهم قرآناً يُتلَى،

ص: ۱۱۶

فضحاً لهم وتعريضاً بمواقفهم الخاذلة للنبى (۱) ۱۸۱.

هذا مع سبق بيعتهم للنبى وعهدهم له بعدم الخذلان وبالنصرة له فى كل المواقع، فنقضوا العهد وخالفوا ما بايعوا النبى عليه.

وأمَّا الآيـة الثانيـة: فقـد قيـل بأنَّها نزلت فى الجُلَاس بن سويـد بن الصامت بن خالـد الأوسـى، وقيل فى عبـد اللَّه بن أبى، وقيل فى أهل العقبة (۲) ۱۸۲.

فـإنَّه صـلى الله عليه و آله لمَّا كان فى غزوة تبوك قال الجُلَاس بن سويـد: واللَّه لئن كان ما يقول محمـدٌ حقاً لإخواننا الـذين خلَّفناهم، وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شرٌّ من الحمير.

فنقل ذلك الكلام إلى رسول اللَّه ربيبُهُ عامر أو عمير بن قيس الأنصارى فاسـتدعاه الرسول صـلى الله عليه و آله فأنكر، فرفع عامر يديه نحو

۱- أقول: إذا كان القرآن نفسه يقوم بفضح بعض المنافقين ومرضى القلوب، ويعرف النبى بهم والنبى يعرف الناس بهم، ولو بالوصف دون الإسم، فلا بدَّ وأن يكون ذلك لغرض سَامٍ، وغاية قصوى يريدها القرآن من ذلك، ونحن نقتفى بالقرآن فى هذا الأمر ونتبع سنَّة الرسول.

وكل ما يُشـكِل به هذا الكاتب علينا فهو إشـكال على كتاب اللَّه وسـنَّة رسوله، إلا أن ينكر وجود مثل هذه الآيات فى القرآن، أو ينكر وجود كل سورة التوبة- الفاضحة- فى القرآن، أو وجود الروايات فى الصحاح والسنن، وحينئذٍ فلا كلام لنا معه!!

۲- مجمع البيان: ۶/ ۹۰

ص: ۱۱۷

السماء وقال: اللهم أنزل آية فی تكذيب الكاذب وتصديق الصادق منّا، فنزلت هذه الآية، فتاب عندئذٍ الجُلاس وحسنت توبته وإسلامه.

وأمّا القول بنزولها فی أهل العقبة، ففيها إشارة لما اتفقوا عليه من الهمّ بقتل النبی ودحرجة الدباب عليه أو قطع زمام ناقته حتی تسقط به فی الوادی، وذلك عند مرجعه من تبوك (۱) ۱۸۳:

تواثق خمسة عشر رجلًا أن يدفعوه عن راحلته إلی الوادی إذا تسنّم العقبة بالليل، فأخذ عمّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة يسوقها (۲) ۱۸۴، فبينما هم كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح، فالتفت فإذا قوم متلثمون، فقال: إليكم

۱- تفسير الكشاف: ۲/ ۲۹۱، وفی هامشه كتب ابن حجر العسقلانی: أخرجه أحمد من حديث أبی الطفيل قال: «لما قفل رسول اللّه صلی الله عليه و آله من غزوة تبوك.. وساق الحديث» وذكر فی ذيل الحديث: لمّا كان بعد ذلك وقع بين عمّار ورجل منهم شیء ممّا يكون بين الناس، فقال: أنشدكم اللّه كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول اللّه؟

فقال: ترى أنّهم أربعة عشر، فإن كنتَ فيهم فهم خمسة عشر.

ومن هذا الوجه رواه الطبرانی والبزار وقال: روی من طرقٍ عن حذيفة، وهذا أحسنها وأصلحها إسناداً، ورواه ابن إسحاق فی المغازی، ومن طريقه البيهقی فی الدلائل عن الأعمش عن عمرو بن مرّة عن أبی البختری عن حذيفة بن اليمان- وساق الحديث إلا أنّه قال: اثنی عشر رجلًا فانتهت إلی رسول اللّه فصرخ فی وجههم فولوا مدبرين

۲- وفی بعض الروايات الأخر بالعكس

ص: ۱۱۸

إليكم يا أعداء اللَّه فهربوا (۱) ۱۸۵.

وفی روایة: أنَّ أسید بن حضیر سأل الرسول صلی الله علیه و آله عن سبب تخلفه عن القوم ومشیه فی اللیل عبر العقبة، فقال: أتدری ما أراد المنافقون البارحة؟

قال: وماذا أرادوا؟

قال: أرادوا أن یقطعوا أنساع راحلتی وینخسوها حتی یطرحونی من راحلتی.

فقال له: عیِّنهم فیقتلهم أهل عشیرتهم، وإن شئت عیِّنهم لی فلا تبرح حتی آتیک برؤوسهم.

فقال رسول اللَّه: إنی أکره أن یقول الناس إنَّ محمداً لمَّا انقضت الحرب بینه وبین المشرکین وضع یده فی قتل أصحابه (۲) ۱۸۶.

ولیس غائباً عنک ما رواه مسلم بسنده عن حذیفة عن النبی صلی الله علیه و آله أنَّه قال: «فی أصحابی إثنا عشر منافقاً، فیهم ثمانیة لا یدخلون الجنَّة حتَّی یلج الجمل فی سَمّ الخیاط» (۳) ۱۸۷.

۱- راجع لمعرفة تفاصیل هذا: سنن البیهقی: ۹/ ۳۳، وقیل بأنَّه أحسنها وأصلحها سنداً، البدایة والنهایة: ۳/ ۳۲۷، زاد المعاد: ۳/ ۵۴۵، أنساب الأشراف: ص ۲۳۶، مغازی الواقدی: ۳/ ۱۰۴۲، تفسیر ابن کثیر: ۲/ ۶۰۴

۲- إمتاع الأسماع: ۴۷۸- ۴۷۹

۳- صحیح مسلم: ۴/ ۲۱۴۳ کتاب صفات المنافقین، سنن البیهقی: ۸/ ۱۹۸، مسند أحمد: ۵/ ۳۹۰ وغیرها من المصادر

ص: ۱۱۹

ولا يفوتنّک قول النبی صلی الله علیه و آله «فی أصحابی»، وکذا قوله «قتل أصحابه» فی الروایة السابقة.

الرابع: ما یتعلّق بمدح أمیر المؤمنین والمؤمنین معه، وکذا ما یتعلّق باستقبال الوفود: قوله تعالی: لکِن الرَّسُول وَالـذِّینَ مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم وَأُولَئِکَ لَهُم الخَیْرَاتُ وَأُولَئِکَ هُم المُفْلِحُونَ* التوبة: ۸۸. ممَّا لا شک ولا ریب فیه لدی کل متتبع لمواطن نزول الآیات القرآنیة، وهو ممَّا لابدَّ وأن یحصل به القطع:

أنَّه لا توجد آیة مدحٍ فی القرآن إلا وعلیٌّ علی رأس الممدوحین فیها.

وقیل بأنَّ موارد مدحه علیه السلام بلغت ثلاثمائة آیة (۱) ۱۸۸، بل نُسِب إلی أحمد بن حنبل أنَّه قال: لم یصلنا من روایات الفضائل فی أحد من الصحابة ما وصلنا فی علی بن أبی طالب علیه السلام (۲) ۱۸۹.

إن قلت: من المعروف تاریخیاً أنَّ أمیر المؤمنین لم یکن مع النبی فی هذه الغزوة، بل بقی فی المدینة، فکیف یکون مشمولًا بها؟

قلتُ: إنَّ المدح فی الآیة لمن کان مع النبی، ولیس المقصود خصوص المعیَّة البدنیَّة، وإلا فقد کان معه الکثیر من المنافقین، ولا یمکن أن تکون الآیة شاملة لهم بالمدح، بل یمکن لنا دعوی

۱- تفسیر الحبری: للحسین بن الحکم الوشاء (ت ۲۸۱ ه) ط بیروت ۱۴۰۸ ه. ص ۱۶۲ - ۱۶۳ وانظر الحدیث الثالث ص ۲۳۴ وتخریجاته (ص ۳۸۳)

۲- المستدرک للحاکم النیسابوری: باب أوّل فضائل أمیر المؤمنین علیه السلام

ص: ۱۲۰

عدم إرادة المعيَّة البدنيَّة أصلًا، وأنَّ المراد مَن كان معه على الحقِّ وعلى الدعوة للَّه عزَّ وجلَّ، ولهذا الدين.

ولا شكَّ أنَّ أمير المؤمنين هو أوَّل من كان معه على هذه الدعوة، فهل تتعقل أن تخرجه عن دلالتها وتدخل الأباعد والمتأخرين فى هذه الدعوة؟ وإنَّما أبقاه النبى صلى الله عليه و آله فى المدينة محافظاً عليها عن انقلاب المنافقين وإفسادهم، حيث تخلف فيها الكثير منهم والمتربِّصُون بهذا الدين الدوائر، وأى جهاد أعظم من هذا؟

مع عدم حبِّه عليه السلام للتخلّف، لفرط رغبته فى مصاحبة الرسول صلى الله عليه و آله فى كل غزواته، بل كان متعطّشاً للذهاب معه، ولكنَّ طاعته الكبيرة للرسول جعلته يمتثل أمر النبى بالبقاء، بل كان اختياره البقاء أحد فردى التخيير بينه وبين خروجه وبقاء النبى فى المدينة- كما دلَّت عليه الروايات-، ولذا لم يرد عندنا ولا عند العامَّة أن خرج على عليه السلام فى جيش أو غزوة أو سريَّة مأموراً، بل كان فيها كلِّها هو الأمير، ولذا كان من ألقابه أمير المؤمنين سلام اللَّه عليه.

وهاك بعض الشواهد على مدائح على:

أحدها: لمَّا عزم الرسول صلى الله عليه و آله على الخروج لغزوة تبوك قال لأمير المؤمنين: إمَّا أن تخرج وأبقى فى المدينة، وإمَّا أن تبقى وأخرج، فإنَّ المدينة لا تصلح إلا بى أو بك (۱) ۱۹۰.

۱- ميزان الاعتدال: ۱/ ۵۶۱، مناقب ابن المغازلى: ص ۳۲

ص: ۱۲۱

فقبل علیٌّ بأن یبقی فی المدینة، ولکن لمَّا شارف الرسول علی الخروج بالجیش تکلَّم المنافقون فی علیٍّ وقالوا: «لو کانت له فی ابن عمه حاجةٌ لأخرجه معه»! فتأثر أمیر المؤمنین لذلک (۱) ۱۹۱ وأخبر النبی بما قالوا، فقال له: «أما ترضی أن تکون منّی بمنزلة هارون من موسی إلّاأنَّه لا نبیَّ بعدی» (۲) ۱۹۲ ثانیها: لمَّا قدم وفد ثقیف علی رسول اللّه فی شهر رمضان، سألوه أن یدع اللات لهم مدَّة ثلاث سنین لا یهدمها، فأبی علیهم ذلک، وقال لهم النبی: لتسلمنَّ أو لأبعثنَّ إلیکم رجلًا منی أو کنفسی، فلیضربنَّ أعناقکم، ولیأخذنَّ أموالکم، ولیسبینَّ ذراریکم.

فقال عمر: فجعلتُ أنصب صدری وأقوم علی أطراف أصابعی؛ رجاء أن یقول: هو هذا، فالتفتَ إلی علیٍّ فأخذ بیده وقال: هو هذا، هو هذا (۳) ۱۹۳.

۱- لعل هذه من کلام الراوی

۲- صحیح بخارایی ۵/ ۲۴. صحیح مسلم ۱۵/ ۱۷۳. المستدرک علی الصحیحین. ۲/ ۳۳۷ منسد احمد ۱/ ۱۷۷- ۱۷۹- ۱۸۲- ۱۸۴- ۳/ ۳۲ و ما بعد ها الخصائص للنسائی ص ۸۲ و غیرها من المصادر الکثیره جدا بل قیل بتواتر و هو قوی لکثرة رواة و تعدد طرقه و طبقاتة بما یومن منهم التواطوء علی الکذب

۳- مجمع الزوائد: ۶/ ۱۶۳، مناقب ابن المغازلی: ص ۴۲۸

ص: ۱۲۲

ثالثها: حادثة تبليغ سورة براءة، وقد مرَّ منَّا ذكرها، وفيها أنَّ الرسول صلى الله عليه و آله قال لأبى بكر:... أُمِرتُ أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتى (۱) ۱۹۴ أو منى (۲) ۱۹۵.

رابعها: وفد نصارى نجران، وقصَّة المباهلة المعروفة المشهورة؛ بل المدعى تواترها: حيث إنَّهم بعد أن وفدوا على النبى صلى الله عليه و آله تدارسوا أمر المسيح، فردَّدعواهم وكلَّف الرسول صلى الله عليه و آله بمباهلتهم إن أصرُّوا على ذلك، وطلبوا المباهلة، وفى يوم المباهلة جاء الرسول، وفى إحدى يديه الحسن، وفى الأخرى الحسين، وتتبعه فاطمة، وأمير المؤمنين: بين يديه أو خلفهما، فلمَّا رأوا ذلك خافوا وقالوا: لا نباهلك، ولكن ندفع الجزية، فكتب علىّ ذلك الصلح بينهما.

فياترى: لمَ لم يباهل الرسول العظيم بأصحابه؛ وهم هم- كما تراهم- ألا يوجبون استجابة دعاءه؟

ألم يكن الرسول واثقاً فى أصحابه تمام الثقة؟

ولمَ لم يعترض الصحابة عليه- كما اعترض بعضهم فى موارد

۱- تفسير ابن كثير: ۲/ ۵۴۳، الخصائص للنسائى: ۹۱، تفسير الكشاف: ۲/ ۲۴۳، مسند أحمد: ۲/ ۱، ۴/ ۱۶۴، ۱۱/ ۱۵۱، المستدرك للحاكم: ۳/ ۵۱، كنز العمال: ۱/ ۲۴۶، ۶/ ۱۵۳، تاريخ أبى زرعة: ص ۲۹۸، والكثير من المصادر غيرها

۲- راجع كلمات المفسرين حول سبب نزول الآية فستجد المزيد من هذه العبارات من تفسير سورة براءة، وكذا راجع تفسير الحبرى:

ص: ۱۲۳

أخرى- على أخذ الحسنين والزهراء وأمير المؤمنين عليهم السلام؟

ألم تفكر فى كل هذا أيُّها الكاتب القدير؟

ولمَ لم تشر فى كتابك إلى مثل هذه الوفود، وما جرى بينها وبين النبى صلى الله عليه و آله؟

ألم يكن خوفاً من أن تُلزَم بالتعرض لمثل هذه المقامات الثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام؟

خامسها: بَعْثُ النبى صلى الله عليه و آله إلى اليمن: فقد بعث بعثين.

أحدهما- وهو أولهما- بعث خالد بن الوليد وبقى فيهم ستة أشهر ولم يسلموا.

ثمَّ بعث أمير المؤمنين عليه السلام إليهم فلمَّا وصلهم وقرأ عليهم كتاب الرسول صلى الله عليه و آله أسلمت همدان جميعاً فى يوم واحد، فأرسل للنبى بذلك، فسجد صلى الله عليه و آله شكراً للّه، وكان أنا اصطفى له جارية منهم، فأرسل خالد مع بريدة رسالة للنبى صلى الله عليه و آله يخبره بذلك، فغضب النبى صلى الله عليه و آله لذلك وقال: «لاتقع فى على فإنَّه منى وأنا منه وهو وليُّكم بعدى» (۱) .۱۹۶

أليس فى هذا كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد؟

وبعد كل هذه المواقف والمقاطع السريعة مع هذا الكاتب نراه

۱- السيرة النبويَّة لابن كثير: ۴/ ۲۰۳ نقلًا عن السنن الكبرى للبيهقى: ۲/ ۳۶۹، الكامل لابن الأثير: ۲/ ۳۰۰، تاريخ الطبرى: ۳/ ۱۳۲

ص: ۱۲۴

يعود ويكتب آيات كريمة أخرى من القرآن:

فمنها: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالـذِّينَ مَعَهُ أَشِـدَّاء عَلَى الكُفَـارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُم تَرَاهُم رُكَّعَاً سُـجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْـلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانَاً سِـيمَاهُم فِى وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُود ذلِكَ مَثَلُهُم فِى التَوْرَاةِ وَمَثَلُهُم فِى الإنْجِيل (۱) ۱۹۷.

ومنها: يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ* يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم فَوْقَ صَوْت النَّبِى (۲) ۱۹۸.

ومنها: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُون حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم إلى قوله: وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمَاً (۳) ۱۹۹.

فهـذه الآيات تعطى خلاف ما يرومه هـذا الكاتب، فمدَّعاه هو عدالة كل الصـحابة، وشدة إخلاصـهم وإيمانهم بالنبى صـلى الله عليه و آله.

ولكنَّ الآية الأولى هنا- مثلًا- غاية ما تفيده هو تحقق هذا الوصف لجماعة خاصة، وهم خصوص الذين معه، وقد سبق منَّا القول بأنَّه لا يمكن الالتزام بأنَّهم جميع مَن يكونون معه بأبدانهم، وإلا فالكثير ممَّن كان معه بأبدانهم كانوا ممَّن نزلت فيهم آيات المنافقين.

۱- الفتح: ۲۹

۲- الحجرات: ۱- ۲

۳- النساء: ۶۵

ص: ۱۲۵

بل المراد بالآيـة الـذين معه على هـذا الأمر الجامع، وهو الـدين الخالص الـذى يدعو له مرسَـلًا به عن ربِّه، علاوة على أنَّا لا نمنع ثبوت مثل هذه الصفات لبعض الصحابة بل لكثير منهم، ولكنَّ هذا الكثير يقابله من لم يكونوا كذلك.

وأمَّا فى الآيـة الثانيـة فهى تنهى عن التقـدم- فى الأـمر و النهى- على النبى صـلى الله عليه و آله، أو التقـدم فى الأفعـال أو الإقصار عنه صلى الله عليه و آله، ونقول:

ينبغى لكم أيها الصحابة أن تسيروا على طبق أوامره ونواهيه:

ومَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا (۱) ۲۰۰ دون تقدم عليها أو تثاقل ولا تأخر عن أدائها.

ولكنَّ- أخى القارىء- إليك مثالًا من واقع حياة الصحابة مع النبى صلى الله عليه و آله تبين لك كيفية امتثالهم لمفاد الآية:

وهو مـا قـدَّمنا ذكره من حـديث صـلح الحـديبيَّة، لمَّا جرى الصـلح وأراد النبى الإحلاـل من إحرامه حيث صُـدَّ عن دخول البيت فـأمر أصـحابه بالحلق والذبح امتنعوا، وجرى بينهم ما جرى حتى دخل على أم سلمة وشكى لها قومه، فأشارت عليه بالخروج والحلق والذبح دون اعتبار بهم ففعل فقاموا وفعلوا كذلك، وقد مرَّ تخريج مصدرها (۲) ۲۰۱.

۱- الحشر: ۷

۲- علاوة على المصادر السابقة؛ راجع تاريخ الطبرى ۲/ ۱۲۲ حوادث سنة ۶ ه، البداية والنهاية: ۴/ ۱۳۶ حوادث سنة ۶ ه

ص: ۱۲۶

وکـذا ما ورد عن عائشـة لمَّا أمر الناس بالإحلال بالعمرة تعاظم ذلک عندهم (۱) ۲۰۲ وفشت فی ذلک القالـة (۲) ۲۰۳، فقالوا: ننطلق إلی منی وذَکَرُ أَحَـدِنَا یَقْطُرُ مَنِیًّا (۳) ۲۰۴، فبلغ ذلـک النبی صـلی الله علیه و آله فقام خطیباً فقال: بلغنی أنَّ أقواماً یقولون کـذا وکـذا، واللَّه لأنا أبرُّ وأتقی للَّه منهم، قالت عائشة: دخل النبی علیَّ وهو غضبان، فقلتُ: من أغضبک یا رسول اللَّه؛ أدخله اللَّه النار.

قال: أو ما شَعَرْتِ أنی أمرتُ الناس بأمر فإذا هم یترددون (۴) ۲۰۵.

وأمَّا فی الآیة الثالثة فاستمع لما ذکره المفسرون:

قال بعضـهم: لمَّا نزلت هذه الآیة قال أبو بکر: یارسول اللَّه؛ واللَّه لا أکلمک إلا السِّرار أو أخا السِّرار حتی ألقی اللَّه، وعن عمر أنَّه کان یکلم النبی صلی الله علیه و آله کأخی السِّرار لا یسمعه حتی یستفهمه (۵) ۲۰۶.

۱- هذا اللفظ لمسلم: ۲/ ۹۰۹

۲- هذا اللفظ للبخاری: کتاب الاشتراک فی الهدی: ۲/ ۸۸۵

۳- صحیح البخاری: کتاب‌التمنی: ۶/ ۲۶۴۱، وقد ذکر فی مقدمة مرآة العقول أنَّ القائل بهذه الکلمة «ننطلق إلی منی وذکر...» هو عمر بن الخطـاب وقـد أجابه النبی صـلی الله علیه و آله بقوله: «إنَّک لن تؤمن بها حتی تموت..» والشاهـد علی هـذاأنَّه لمَّا صار خلیفـة نهی المسلمین عن‌أمور ومنها متعتا الحج والنساء؛ ۱/ ۲۲۱

۴- صحیح مسلم: ۲/ ۸۷۹

۵- تفسیر الکشاف: ۴/ ۳۵۲ أما حـدیث أبی بکر فقـد ذکره الواحـدی عن عطاء عن ابن عباس، وأما حدیث عمر فقد خرجه البخاری من حدیث أبی الزبیر

ص: ۱۲۷

ولكن فلنستمع لأصل القصة لنعرف منها لِمَ قالا ذلك:

فقد أخرج فى الدرِّ المنثور عن البخارى وابن المنذر والطبرانى عن ابن أبى مليكة قال: كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر: رفعا أصواتهما عند النبى صلى الله عليه و آله حين قدم عليه ركب بنى تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس (۱) ۲۰۷ وأشار الآخر برجل آخر (۲) ۲۰۸.

فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافى!.

قال: ما أردتُ خلافك.

فارتفعت أصواتهما فى ذلك، فأنزل اللَّه: يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم... قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول اللَّه بعد هذه الآية حتى يستفهمه» (۳) ۲۰۹.

وحينما نأتى بمثل هذه الشواهد ليس غرضنا خصوص الشخص المعيَّن، بل بما أنَّه أحد الصحابة، فتنتقض القضية الكليَّة التى يدَّعيها الكاتب من الحكم بعدالة كل الصحابة، وعدم جواز نقدهم.

وإن كان يغلب فى الظن أنَّه لا غرض له فى كل الصحابة، ولكنَّه الطريق الوحيد لتعديل جماعة السقيفة على أقل

۱- وفى رواية أنَّ المشير به هو عمر بن الخطاب

۲- وهو أبو بكر فقد أشار بالقعقاع بن معبد بن زرارة

۳- الدر المنثور: ۶/ ۸۴، صحيح البخارى: ۳/ ۱۹۰- ۱۹۱ تفسير الحجرات، وفى طبعة أخرى ۴/ ۱۵۸۷- ۱۸۳۳، سنن النسائى: ۸/ ۲۲۶

ص: ۱۲۸

التقديرات، وصبغهم بهالة قدسيَّة تمنع من التفوُّه عليهم ولو ببنت شفة.

الموقف السادس: وهو ما يتعلّق بغزوة حنين:

ولعل الكاتب لم يذكره لوضوح الفضيحة فيه، إذ نزل فيه قرآن يتلى، فكيف يوارى سوأة مَن يمسَّهم مِن الصحابة عن ذلك، فليس من طريقة إلا إغفال الذِكْر لعلَّ القارىء يغفل أيضاً عن ذلك.

قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُم اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَينٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَم تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنْزَل اللَّهُ سَكِينَتَه عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّب الذِّين كَفَرُوا وَذلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِين التوبة: ۲۵- ۲۶.

فقد كان جيش الرسول صلى الله عليه و آله لحرب قبيلة هوازن اثنا عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف الذين اشتركوا فى فتح مكَّة، وألفان ممَّن أسلم فى مكَّة، وقد عجبوا، بل اتكلوا على كثرتهم، فقال بعضهم:

«لا نُؤتَى من قِلَّة» فكره ذلك رسول اللَّه منهم، وقد اختبأت هوازن فى الوادى، ثمَّ لما خرجوا على المسلمين انهزم المسلمون و وَلَّوْا الدبر، حتى لم يبقَ مع الرسول إلا عشرة وقيل تسعة: على بن أبىطالب والعباس عم النبى- وهو المنادى فى الفارِّين: ياأهل

ص: ۱۲۹

بيعة الشجرة.. يا أهل سورة البقرة..- وأبو سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وربيعة أخوهم، وعتبة ومعتب ابنا أبى لهب والفضل بن العباس وعبداللّه بن الزبير، وقيل أيمن بن أم أيمن (۱) ۲۱۰.

وعن بعض مصادر الشيعة: «إنَّ الناس فروا جميعاً يوم حنين عن النبى صلى الله عليه و آله إلاـ سبعة: أبو سفيان وربيعة ونوفل أبناء الحارث، والعباس وابنه الفضل وأمير المؤمنين وأخوه عقيل والنبى على بغلته الدلدل...» (۲) ۲۱۱.

فهل الفارُّون والمُوَلُّون الدُّبُرَ الأصحابُ أم الأغيار؟

وهل أنَّ فعلهم مساوٍ لمن ثبت مع النبى؛ ألا بربك قل لى!!؟

وفى هذه الغزوة وبعد أن انتصر على هوازن حاصر الطائف، وأمَّر علياً على كسر الأصنام، وبعد أن أدَّى مهمَّته رجع فكبَّر النبى صلى الله عليه و آله، وناجى علياً طويلًا، يقول جابر: أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به؟ فقال: يا عمر ما أنا انتجيته بل اللّه انتجاه» (۳) ۲۱۲.

۱- تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۶۲، أنساب الأشراف: ۱/ ۳۶۵، الاستيعاب: ۱/ ۸۱۳، تفسير الفخر الرازى: ۱۶/ ۲۲، تاريخ الطبرى: ۲/ ۱۶۷ حوادث سنة ۸ ه

۲- الأمالى للشيخ الطوسى؛ المجلس رقم ۲۲

۳- سنن الترمذى باب مناقب على، أسد الغابة لابن الأثير: ۴/ ۲۷، المعجم الكبير للطبرانى: ۲/ ۱۸۶، بألفاظ متقاربة وبعضها عن أبى بكر لا عمر، كما أنَّ بعضها عنهما جميعاً

ص: ۱۳۰

فقـد علم القارىء المحترم... الآن؛ لِمَ انحرف قلم هـذا الكاتب عن ذكر بعض الغزوات أو بعض الوفود القادمة على النبى، فليس ذلك إلاـ محاولـة لإطفاء نور اللّه عزَّ وجلَ يُرِيـدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِم وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون (۱) ۲۱۳، وتستراً على فضائل علىّ أميرالمؤمنين عليه السلام والتى ملأت- مع إخفاء أوليائه خوفاً وإخفاء أعداءه حسداً- الخافقين.

خاتمة:

والذى نخرج به من هذه الدراسة عدَّة أمور:

الأوّل: إنَّ أهل السنَّة ينقسمون فى هذا الزمان، من حيث اعتبار الروايات إلى قسمين:

قسم لا يعتبر من الروايات النبويَّة- عملًا وإن لم يصرحوا به- إلا صحيحى البخارى ومسلم، وهؤلاء هم ما يسمون فى هذا الزمان بالفرقة الوهابيَّة والسلفيَّة، فلا يرون المناقشة فى أسانيد رواياتها.

وقسم يعتبرون بالكثير من المصادر الحديثيَّة و التاريخيَّة قوَّة أو فعلًا (۲) ۲۱۴، علاوة على الصحيحين، لو صحَّ سندها.

۱- الصف: ۸

۲- المراد بالقوة: إمكان تصحيح الروايات الواردة فى الكتب الحديثيَّة، والمراد ب فعلًا أنَّها مصححة عندهم بالفعل

ص: ۱۳۱

فأمَّا القسم الأول: فهم يرون أنَّ ما كان موجوداً فى هذين الصحيحين لا يُحتَاج إلى البحث فى سنده، بل هو معتبر مطلقاً.

وأمَّا القسم الثانى: فهم يرون عدم الفرق بين الصحيحين وغيرهما من الكتب، بل كل كتاب وردت فيه روايات منسوبة للنبى وصحَّ سندها فهى ممَّا يجب العمل بها، وكل رواية ثبت ضعف سندها أو لم يثبت صحته، فهى مطرحة ولا يصح العمل بها.

ونحن- بما أنَّنا لحظنا كلا القسمين، وأردنا أن يكون الرد لهذا الكاتب شاملًا لأكبر قدر ممكن من القُرَّاء- حاولنا الجمع بين المبنيين، فنقلنا الروايات من الصحيحين ومن الكتب الأخرى، علماً بأنَّ المبنى الأول واضح الفساد جداً، ولم تصر إليه إلا شرذمة من المتأخرين المدَّعين لاتباع السلف، وأتباع ابن تيميَّة وابن حزم وابن القيم، ومن سار على خطّهم، ونشر أفكارهم ممَّن يدين بالدعوة الوهابيَّة فى هذا الزمان.

فالذى نتمناه أن لا يكون هذا الكاتب من أتباعها ودعاتها، فإنَّ من ينتمى إليها، فمذهبهم عدم قبول نظر أى طرف آخر، بل يترقى لتكفير كل من يخالفهم فى الرأى فمنطقهم: أنت معنا وإلا

ص: ۱۳۲

فأنت كافر (۱) ۲۱۵.

ولذا؛ فيمكن لنا القول: إنَّه فى هذا الزمان ليس من موضع لمن يعيش مثل هذه العقليَّة الضعيفة فى وسط المجتمعات المسلمة المتوائمة المحبَّة لكل من نطق بالشهادتين وأحبَّ أهل البيت عليهم السلام وعمل بما أمر به الرسول صلى الله عليه و آله من طاعتهم حيث يأمن الناس من يده ولسانه.

الثانى: ليكن من المعلوم لهذا الشيخ الكاتب للرسالة ولغيره:

أنَّ الدعوة لنقد بعض الصحابة، أو وضع أعمالهم على مائدة التشريح ليس فيه منقصة لكل الصحابة، بل حتى بالنسبة للصحابى الذى تحقق صدور الخطأ منه ثمَّ تاب عنه (۲) ۲۱۶.

فإنَّا لا نتحسَّس من أحد لشخصه وذاته مستقلةً عن أفعاله والمحيط الذى كان ينطلق منه فى تصرفاته، بل إنَّ النقد أو الدراسة الفاحصة لحياة أحدهم ليست إلا لما صدر منه من أفعال مخالفة

۱- والشواهد على هذا كثيرة؛ فهى تبدأ من تكفير شيخهم محمد بن عبد الوهاب لكل من خالفه فى الرأى حتى أخيه الشيخ سليمان، وانتهاءاً بالشيخ الألبانى الذى قد أيَّدوه لمدة من الزمان، ثمَّ كفَّروه، وذلك لمجرد أن ناقش فى أسانيد بعض الروايات، وكذا سمعنا أنَّهم قد كفَّروا الشيخ حسن فرحان المالكى لمجرد أن قام بمناقشة بعض القضايا العقديَّة والتاريخيَّة المسلَّمة عندهم، وهكذا منصور النقيدان حديثاً، وغيرهم كثير

۲- كما فى الجُلَاس بن سويد فإنَّه أخطأ، وقال كلمة الكفر مشتبهاً، فنزل القرآن مُلَوِّماً له فتاب وحسن إسلامه

ص: ۱۳۳

لإرادة اللَّه، وللزوم الطاعة للنبى ولأولياء اللَّه المأمورين بطاعتهم فى الآية القرآنيَّة: يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُم... (۱) ۲۱۷ وقوله تعالى: ومَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا (۲) ۲۱۸.

وكل ذلك لأجل الحفاظ على من ننقل عنه الأحاديث النبويَّة.

وهل فى تطلبنا الحفاظ على ذلك غضاضة؟.

الثالث: لم يشر هذا الكاتب لما صدر عن أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام من كلمات فى مدح الصحابة وصحبتهم للرسول صلى الله عليه و آله، سواء فى نهج البلاغة أو فى كلمات أخرى، وكذا ماكان فى الصحيفة السجاديَّة و الروايات المتناثرة هنا وهناك، وهى معتقدنا فى الصحابة الطيبين الذين أحسنوا الصحبة رضوان اللَّه عليهم.

و ما مرَّ حول ما ورد من آيات تشير لمدح الصحابة، فقد قلنا هناك بأنَّ مدحها مدح جمعى، لا أنَّه مدح للجميع واحداً واحداً، ومثل هذا المدح لا نمنع منه بل نُقِرُّه.

كيف؟ ومنهم مَنْ هو مِنْ خَوَاصِّ النبى وأمير المؤمنين عليهم السلام، وقد أبلى مع الرسول صلى الله عليه و آله بلاءاً حسناً، ومات على ما مات عليه

۱- النساء: ۵۹

۲- الحشر: ۷

ص: ۱۳۴

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، كسلمان المحمدى، والمقداد بن عمرو، وعمَّار بن ياسر، وأبى ذر الغفارى، وأمثال خبَّاب بن الأرت، وعثمان بن حنيف وأخيه سهل بن حنيف حبيب رسول اللَّه، والمفدى بنفسه فى المغازى كلها نفس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأبو دجانة الأنصارى، والمرقال هاشم بن عتبة، وخالد بن سعيد بن أبى عامر خامس من أسلم، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت، وجابر بن عبداللَّه الأنصارى، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبى أيوب الأنصارى، ومالك بن الأشتر النخعى، والبراء بن عازب، وعبادة بن الصامت، ومالك بن نويرة.

و الكثير من الصحابة الذين وفوا بما عاهدوا اللَّه عليه، وماتوا على ذلك، وما بدَّلوا بعد وفاته فضلًا عن حال حياته.

الرابع: لقد لاحظنا كثيراً- من هذا الكاتب ومن غيره من الكتَّاب ممَّن اتخذ اسم السنَّة شعاراً ودثاراً- أنَّهم يتشبثون من الآيات بما يوافق هواهم وآراءهم، ويقومون باستبعاد كل آيةٍ فيها إشارة أو تلميح بفضل على عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، وكأنَّهم قد وقفوا أنفسهم على استمرار عمليَّة التعتيم على فضائلهم ومناقبهم، وما ورد فى حقِّهم من قِبَلِ النبى صلى الله عليه و آله، وهو ذلك العمل الشنيع الذى قام به معاوية، وجرت سُنَّة الدولة الأمويَّة عليه، وكأنَّ هذه الأحاديث ليست صادرة عن النبى صلى الله عليه و آله، أو أنَّها لا تمُتُّ إليهم بصلة على الإطلاق، وأنَّهم ليسوا أهل بيت نبيهم

ص: ۱۳۵

صلوات اللّه عليهم أجمعين!!.

بل يحاول هـذا الكاتب- مثلًا- أن يعتمـد على إحياء الدعوة القديمة من مقولة: «حسبنا كتاب اللّه»، فهو يرفع شعارها هنا منادياً بترك كل الروايات والكتب المتعلقة بتفسير الآيات، والاكتفاء بالقرآن.

وياترى: هل القرآن- على مرَّ هذه القرون الأربعة عشر- قد حلَّ كل خلافات المسلمين؟ والتأمت كل كُلُومِهِم؟ وسُدَّت كُلُّ ثغراتهم؟

بل يترقى إلى القول بأنَّ كل تلك الروايات محض أساطير تاريخيَّة (۱) ۲۱۹.

وهو أمر غريب جداً من مثله، وهبْ أنَّها أساطير فهل مرويات الصحاح أساطير أيضاً؟

سلَّمنا ذلك فى غير الصحيحين، ولكن ما تقول فى الصحيحين؟ فهل رواياتهم أساطير؟ أو تقول: قد دُسَّت فيهما؟

ومَن الذى دسَّها، وقد طُبِعَت فى مطابعكم؟

والغرض من كـل هـذا ليس بيـان اعتبارنا لمثل هـذه الكتب، وإنَّما لأجل إلزامهم بما رووه، وفيما لو كانت الروايات التى ننقلها تتحمل كلمة كفر أو وصفٍ مشينٍ لبعض الصحابة، فهو ليس

۱- صحبة رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ص ۳۴

ص: ۱۳۶

منَّا، بل من رواياتهم الموجودة فی کتبهم، وناقل کلمة الکفر لیس بکافر.

فالعجب أنَّهم یُکَفِّرُون الناقل فی حین أنَّهم یلتزمون بعدالة الراوی والمؤلف فضلًا عن إیمانه، فما لکم کیف تحکمون؟

ولا یقف هذا الشیخ وأمثاله من الکتَّاب عند هذا الحد، بل تراهم یعتبرون بالرجل ویوثقونه ویروون عنه مادام لم یروِ فضیلةً لأهل‌البیت علیهم السلام، وبمجرد روایته لفضیلة فی أمیر المؤمنین علیه السلام یُضَعَّف، ویرمی بالمخازی وما یتنزه اللسان عن ذکره.

وأمَّا من یروی طعناً فی علی- وهو من وضعه أو وضع مَنْ سَبَقَه فی الروایة- فهو مُقَدَّم عندهم، وممَّن یُسْکَن إلیه فی الروایة، وممَّن ثبتت وثاقته وعدالته.

فقد رووا عن عمران بن حطَّان المادح فی شعره لعبدالرحمن ابن ملجم قاتل أمیر المؤمنین علیه السلام، روی عنه البخاری ومسلم، وأخرجوا عن المغیرة بن مُقَسِّم کما وثَّقه الذهبی، مع أنَّه کان یحمل علی علیٍ (۱) ۲۲۰.

وکذا أخرجوا عن قیس بن أبی حازم مع أنَّه یحمل علی علیٍ (۲) ۲۲۱.

۱- سیر أعلام النبلاء: ۶/ ۱۲

۲- المصدر نفسه: ۴/ ۱۹۹

ص: ۱۳۷

وأخرج مسلم والأربعة عن‌الفأفأ فی‌حین أنَّ الذهبی نصَّ علی کونه ناصبیاً (۱) ۲۲۲.

کما أخرجوا عن حریز شیخ البخاری مع أنَّه کان یلعن علیاً علیه السلام فی کل یوم سبعین مرَّة؛ لعنه اللَّه وأخزاه.

فیا عجباً! کیف یکون الناصبی عادلًا وراویاً للسنَّة عن النبی صلی الله علیه و آله.

والحبل فی هذا المسار طویل جرَّار لا نهایة له عندهم.

الخامس: لیس من الإنصاف والعدل- أیها الکاتب- أن تأمر بالتأمل فی آیات القرآن، فی حین أنَّک تمنع لحاظ الروایات المفسِّرة لتلک الآیات، وهل المفسِّر والمبیِّن لما أنزل إلا النبی صلی الله علیه و آله؟

وکیف نعرف تفسیر القرآن إذا لم یبینه لنا الرسول ومَن عیَّنهم اللَّه عزَّ وجلَّ ورسوله علیهم السلام لحفظ القرآن وبیانه وتوضیحه للناس؟

فإنَّ معرفة ناسخه من منسوخه، ومجمله من مبیَّنه، و عامَّه من خاصِّه، ومطلقه من مقیده، ومکیّه من مدنیّه؛ کل تلک الأمور مرهونة بمعرفة النبی وأهل بیته علیهم السلام حقَّ المعرفة.

وأمَّا مع الانحراف عنهم، وعدم العمل بقولهم، وعدم الاهتداء

۱- المصدر نفسه: ۵/ ۳۷۴

ص: ۱۳۸

بهديهم، فهو عين الضلال المذموم فى القرآن، وفى الروايات، ولم يكن ذلك الفعل من المتقدمين إلا حسداً وبغضاً لهم عليهم السلام بما أعطاهم اللّه من فضله.

وقد مرَّ علينا سابقاً ما صنع النبى مع أمير المؤمنين من مناجاته له الطويلة، فغضب بعض القوم وقالوا له: ما لك أكثرتَ مناجاة ابن عمك دوننا؟ فقال: ما أنا ناجيته ولكنَّ اللّه انتجاه.

كما أنَّنا نقرأ فى التاريخ صورة واضحة من الحسد؛ يحكيها ابن عباس من حديثه مع عمر بن الخطاب أيام خلافته، فقد قال عمر لابن عباس: إنَّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوَّة والخلافة فتذهبون فى السماء بُذَّخاً وشمَّخاً، لعلَّكم تقولون: إنَّ أبا بكر أراد الإمرة عليكم وهضمكم؟ كلا؛ لكنَّه حضره أمرٌ لم يكن عنده أحزم ممَّا فعل، ولولا رأى أبى بكر فىَّ بعد موته لأعاد أمركم إليكم، ولو فعل ما هنَّأكم مع قومكم، إنَّهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جَازِرِه (۱) ۲۲۳.

وعلى هذا، فما ذكره هذا الكاتب فى ختام رسالته من إمكان اجتماع حبّ النبى والآل مع حبّ الصحابة فى قلب واحد، فهو ممنوع من جهة، وجائز من جهة أخرى:

أمَّا جهة منعه فهى منع الإطلاق فيه، فإنَّ حب النبى والآل عليهم السلام والصحب الكرام لخصوص الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، و وفوا بذلك العهد، وماتوا على ذلك، هذا من الأمر المرغوب فى

۱- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۱/ ۱۹۰

ص: ۱۳۹

تحصيله من المؤمن، ولكن ليس كل الصحابة ممَّن يجب حبُّهم كحبّ النبى والآل، فإنَّ منهم من بدَّل وغيَّر وحرَّف، فهل نحبُّهم كما نحبّ النبى والآل عليهم السلام؟

هذا ما لا ترضاه لنفسك فكيف ترتضيه للناس؟

وأمَّا جهة الجواز؛ فهى حبّ الصحابة الذين لم يؤذوا النبى بل ناصروه، ولم يفرّوا، ولم يخذلوه أمام المشركين والكفار، وماتوا على ذلك، فهؤلاء هم الصحابة بحقٍّ، فليس من الممتنع أن يجتمع حبُّهم مع حب النبى والآل الكرام.

فنحن نحب اللَّه والنبى وأهل البيت والصحابة كسلمان والمقداد وأبى ذرٍّ وعمَّار وخبَّاب والبراء والمرقال ومالك بن نويرة و.. و..، وهم من الصحابة، وإن كان حبُّنا لأهل البيت عليهم السلام لا يقاس به حب من عداهم من الخلق أجمعين (۱) ۲۲۴.

وعلى كل حال، فلم يَجِد هذا الكاتب عن سيرة سلفه، بل مشى على طريقتهم، وسار على هديهم، من الانحراف عن نهج أمير المؤمنين عليه السلام، وليس يغرُّنا أو يُغَرِّر بنا أن كتب فى غلاف كتابه كلمة لأمير المؤمنين، فإنَّها كلمة حق أراد بها- هذا الكاتب- باطلًا.

۱- فأصل الحب للنبى والآل والصحابة الذين وصفناهم بالصفات الحسنة مرغوب فيه ومطلوب، وأمَّا التسوية بينهم فى الحب والولاء والطاعة فهو أمر آخر

ص: ۱۴۰

وكـذا ليس ممَّا يوجب رفع عـذره أن يقول بأنَّه يحبُّ علياً، فإنَّ للحب علامات وإشارات، لا نجد شـيئاً منها على وجه كتابه، فضـلًا عن تصرفاته وسائر أحواله، بل المُطَّلِع على حاله يرى العكس من ذلك، أعاذنا اللَّه من سوء المنقلب، واللَّه العاصم من كل سوء.

السـادس: من الواجب علينـا التنبيه على أمرٍ وهو: ضـرورة توجه الأـخوة المؤمنين والأـخوات المؤمنـات إلى من يحـاول- فى مثل هـذه الأيام- أن يمزج السُّمَّ بالعسل، فيخلط كلامه السـيّء المُبَطَّن بكلام ظاهرُهُ حسنٌ، كمن يمزج دعواه الباطلة برهاناً ووجداناً بكلمة لأمير المؤمنين تحتمـل أكثر من تفسـير وأكثر من معنى، حتى لَيَظُنُّ القـارىء له أنَّه كلاـم كلُّه حق ويراد به الحق، فيسـير وراء الكلمات دون علم، بـل بغفلـة عن حقيقـة الأـمر، جاهلًا بِإلامَ توصـله؟ وفى أى نَفَقٍ مظلمٍ تـدخله؟ فتتوارد عليه الشُبَه من هنا وهناك فى عقيـدته وفى مبادئه الحقَّة، التى كرَّس أهل البيت عليهم السلام حياتهم كلها لتأسيسها وبيانها لشيعتهم أيدهم اللَّه.

ثمَّ يبدأ فى طرح هذه الشُبَه فى كل نادٍ يرتاده، وكأنَّها فاكهة المجلس، فيسرى سمُّهَا إلى آخرين غيره دون أن يلقوا جواباً لها، وذلك لأنَّهم لا يطرحونها على أهل العلم ممَّن تخصصوا فى هذا العلم.

فلابدَّ للمؤمنين و المؤمنات قبل أخذ الكتاب- أىّ كتاب كان-

ص: ۱۴۱

أن يسألوا أهل العلم عن محتواه وآثاره، وبعد قراءته ينبغى على القارىء له أن يعرض ما فهمه، وما انتقش فى ذهنه على المختصين فى العقيدة، قبل أن يلوكه بلسانه، فى كل مجلس ومنتدى.

وممَّا يؤسف له ما وقع من الكثير من الناس ممَّن وردوا على هذه الوسائل الإعلاميَّة الحديثة، مع التفاتهم إلى أنَّها تحمل إعلاماً موجَّهاً مشوهاً من قبل أعداء اللَّه ورسوله، يهدف فى كثير من أطروحاته إلى بثِّ السموم فى عقول الشباب، كل ذلك بعناوين خدَّاعة كالحريَّة فى التعبير، وحريَّة الرأى، والبحث عن الحقيقة، ومثل هذه العناوين البرَّاقة، والجذَّابة، التى أخذت بمجامع قلوب الكثير ممَّن تاه وانجرف وراء تلك التيَّارات ولم يرجع، فخسر هو؛ وخسرت ساحة الإيمان بفقده خسارةً لا تعوض.

السابع: خلاصة نظر الشيعة الإماميَّة فى الصحابة هو:

أنَّهم لم يفرضوا على أنفسهم قدسيَّة الصحابة ككل، بحيث يكونون فى عزلة عن النقد والتجريح بعد التمحيص.

بل نظروا إليهم من حيث أعمالهم وسلوكهم، مع مقايسة تلك الأمور بالمقاييس والموازين الشرعيَّة والعقليَّة التى وصلت إليهم، وقام البرهان عليها.

فمن ثبت من الصحابة أنَّه قد حفظ العهد ولزم الحق واجتهد فى اتباع الرسول والسير على نهجه فى عقيدته وسلوكه، ولم يزغ عن ربّه، فقد استحق التعظيم والتبجيل، بل الموالاة والتقديس، إذ

ص: ۱۴۲

بهم قام عمود الدين، وقد قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ استَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِم المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ التى كُنْتُم تُوعَدُون* (۱) ۲۲۵

وأمَّا من نكث العهد، وفارق الحق، وغيَّر، وبدَّل، وانقلب على عقبه، فقد استحقَّ العذاب والوبال والبراءة منه واللعنة عليه، كما قال تعالى: فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤتِيهِ أَجْرَاً عَظِيمَاً (۲) ۲۲۶. (۳) ۲۲۷

ال تعالى: والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفسِدُونَ فِى الأَرْضِ أُولئِكَ لَهُم اللَّعْنَةُ وَلَهُم سُوءُ الدَّار (۴) ۲۲۸.

أقول:

هذا القول خاتماً به مقالى هذا، راجياً أن يصل إلى الكاتب وغيره من القُرَّاء، فيقرأُوه قراءةَ المتأمل المتأنى، وليكن رائدهم طلب الحق أنَّى كان، دون حميَّة أو هوى أو تقليد أعمى أو عصبيَّة جاهليَّة، بل الحق أحق أن يتبع.

والحمد للَّهربّ العالمين وصلّى اللَّه على محمّد وآله

الطيّبين الطاهرين.

(۵) ۲۲۹

۱- فصلت: ۳۰

۲- الفتح: ۱۰

۳- الشيخ محمدعلى النجفى، صحبة الرسول صلى الله عليه و آله بين المنقول والمعقول، ۱جلد، نشر مشعر - تهران، چاپ: ۱، ۱۴۲۵ ه. ق..

۴- الرعد: ۲۵

۵- الشيخ محمدعلى النجفى، صحبة الرسول صلى الله عليه و آله بين المنقول والمعقول، ۱جلد، نشر مشعر - تهران، چاپ: ۱، ۱۴۲۵ ه. ق..

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹